

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد د خيضر - بسكرة -
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية



الاغتراب
في رواية "هوامش الرحلة
الأخيرة"
ل: محمد مفلح

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية
تخصص: أدب حديث ومعاصر

إشراف الأستاذ:
رضا معرف

إعداد الطالبة:
نعيمة ساكر

السنة الجامعية : 1435 / 1436 هـ
2014 / 2015 م

شكر ومعرفة

الحمد لله

نشكر الله تعالى ونحمده على التوفيق

الشكر لكل أساتذتي دون إستثناء

لكل من علمني درسا أو كلمة أو حرفا

وخالص الشكر والعرفان بالجميل للأستاذ المشرف "معرف رضا"

على كل ما قدمه لي من نصائح وتوجيهات قيمة

كانت ثمرتها هذه الرسالة.

كما أتقدم بالشكر إلى كل الأساتذة الذين قاموا بتأطيرنا

طيلة مشوارنا الدراسي

والشكر موصول أيضا لكل من ساعدني في إنجاز هذا العمل من قريب أو من

بعيد ، بالكثير أو بالقليل، بالدعاء أو بالإبتسامة.

مقدمة

تعد ظاهرة الاغتراب من الظواهر الإنسانية الهامة التي حظيت بمكانة واسعة في الدراسات الأدبية العربية والغربية على حد سواء، ذلك أن جذورها ليست وليدة الحياة المعاصرة فحسب وإنما هي قديمة قدم التاريخ، البشري لصيقة بالوجود الإنساني وملازمة له منذ نشأته الأولى عاكسة ملامحها على حياة الإنسان نفسياً، وفكرياً، وحتى جسدياً ليزوق مرارة الغربة سواء عبر الهجرة أو الارتحال داخل الوطن أو خارجه، من موطن إلى موطن، ومن أسلوب حياة إلى أسلوب حياة. فعرفت في مختلف المجتمعات وعبر مختلف الأزمان لذلك نلاحظ انعكاسها في الأعمال الأدبية والروائية على وجه الخصوص، إذ أصبحت الرواية الوعاء الفني الأمثل لكثير من قضايا العصر ومشكلات المجتمع، وغدت تعبر عما يختلج في النفس الإنسانية من فيض المشاعر والعواطف والأحاسيس وصورتها تصويراً دقيقاً.

وقد اخترنا هذا الموضوع رغبة منا في الكشف عن ظاهرة الاغتراب إذ أن المتأمل يلاحظ نقص وقلة الدراسات حول هذا الموضوع خاصة في الجانب السردي الروائي فقد اقتصر معظمها على إبراز الظاهرة من خلال الشعر ومن التفكير في موضوع الدراسة طرح الأسئلة الآتية:

- ما مفهوم الاغتراب؟ وما هي أنواعه التي يمكن أن نلمسها ضمن المتن الروائي؟

وما علاقة التغيرات الاجتماعية والسياسية والنفسية بالتمظهرات الاغترابية؟

- ما هي الظواهر الفنية الأكثر بروزاً في الرواية؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة اعتمدنا على خطة مستهلة بمقدمة ومدخل بعدهما فصلان يليهما خاتمة مذيلة بملحق

أما المدخل فجعلناه مرآة عاكسة لمراحل تطور الرواية الجزائرية بما أننا اخترنا الرواية كموضوع للدراسة والفصل الأول جاء بعنوان: "الاغتراب مفاهيم وإضاءات" حيث

تناولنا فيه ثلاثة مباحث أخذ كل واحد منها عنواناً معيناً فالمبحث الأول تقصينا فيه مدلولات الاغتراب ومعانيه في المعاجم واللغات الأجنبية ثم تطرقنا لمفهومه الاصطلاحي أما المبحث الثاني جاء بعنوان الاغتراب في الفكرين العربي والغربي، حيث قمنا بتوضيح وتفسير المعنى العربي له وبما أن الاغتراب ظاهرة سجلت حضورها في مختلف العلوم ارتأينا إظهار دلالاته لدى المفكرين الغرب أمثال هيجل وأتباعه وختمنا الفصل النظري بإبراز أبعاد الاغتراب ومظاهره وأهم أنواعه أما الفصل الثاني فقد تطرقنا فيه "لتجليات الاغتراب في الرواية" وقسمناه هو الآخر لمبحثين حيث أخذ المبحث الأول عنوان دلالات الاغتراب النفسي والاجتماعي والسياسي المتلائمة مع الرواية أما المبحث الثاني جاء معنوناً بـ "علاقة الاغتراب بالمكان والزمان" فتنوعت الأماكن الاغترابية وجاءت معبرة عن الحالة التي يعاني منها البطل وجسد الزمن هو الآخر وجهه المنعكس في الرواية.

وختمنا بخاتمة أوجزنا فيها النتائج المتوصل إليها من خلال دراسة هذا الموضوع وبناء على هذه الخطة اعتمدنا على المنهج التاريخي بتتبع ظاهرة الاغتراب تاريخياً كما اعتمدنا على آليتي الوصف والتحليل وذلك من خلال وصف ظاهرة الاغتراب الموجودة في الرواية عن طريق استحضار النماذج ومن ثم تحليلها وربطها بالحالات الاغترابية أما المنبع الذي اغترفنا منه مادة بحثنا تمثل في مجموعة من المصادر والمراجع من أهمها: الاغتراب، الإنسان المعاصر وشقاء الوعي لـ " فيصل عباس"، والذات المغترية والبحث عن الخلاص لـ " علي العلوي"، والحنين والغربة في الشعر العربي لـ " يحيى الجبوري" والاعتراب لـ " ريتشارد شاخست"

أما عن الصعوبات والعراقيل التي واجهتنا فترجع أساساً إلى طبيعة ظاهرة الاغتراب المعقدة أضف إلى ذلك نقص الدراسات في هذا الموضوع، وبالتحديد في الجانب السردى الروائي

وأخيرا نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ " رضا معرف " على تفضله بالإشراف على هذا
البحث

كما أسجل شكري وامتناني سلفا لأساتذة لجنة المناقشة الكرام على تجشمهم عناء
قراءة وتوجيه وتقويم أي اعوجاج شاب هذا البحث

وفي الأخير نسأل الله التوفيق والسداد .

مدخل

نبذة عن تطور الرواية
الجزائرية

تعد الرواية من أهم الفنون النثرية التي عرفها الأدب العربي إذ أصبحت الوعاء الفني الأمثل لكثير من قضايا العصر، ومشكلات المجتمع فوجدت اهتماما كبيرا لدى القراء والدارسين وغدت اليوم تعبر عن الواقع السياسي، والاجتماعي، وحتى الاقتصادي بلغة حدائثية وبرؤية عميقة فمنذ مطلع السبعينيات، وبداية الثمانينيات بدأت تتشكل بوادر التجربة الروائية في المغرب العربي عامة والجزائر خاصة باعتبارها موضوع بحثنا فكانت قبل ذلك أي على امتداد الستينيات تشكو من الضالة الإبداعية والرداءة الفنية فكانت هناك جهود معتبرة للنهوض بها.

وفي هذا يقول عبد الملك مرتاض « تصافرت عوامل كثيرة بعضها تاريخي وبعضها حضاري وبعضها ثقافي للدفع بعجلة الرواية إلى مأزق تفجرت منه الرواية الجديدة وأنشأت لها عالما رحيبا .¹ »

والرواية الجزائرية لازالت حديثة مقارنة مع تجارب الأمم الأخرى فهي في مرحلة النمو والتطور وتحاول أن تتجاوز الشكل التقليدي من خلال إحداث بعض التغييرات في خصائصها ومضامينها وأشكالها الفنية.

أضف إلى أن « النص الروائي تأخر ظهوره في الجزائر مقارنة مع الفنون الأدبية الأخرى كالشعر والنثر القديم مثل المقامة والسيرة والملحمة والرحلة. »²

والسبب في ذلك راجع إلى الظروف السياسية والتاريخية التي عاشتها الجزائر إبان الثورة التحريرية من ظلم وتعسف واضطهاد، وتدني في المستوى التعليمي والثقافي وتراجع كل ذلك كان جراء المستعمر الفرنسي الذي أراد أن ينزع كل مقومات الدولة الجزائرية.

إن فالأوضاع التي عاشتها الجزائر كانت السبب الرئيس في ذلك الركود والتأخر عن الركب الحضاري والثقافي العربي والعالمي، فسياسة التقتيل والتجويد التي مورست على

¹ عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، الكويت، دط، 1998، ص 51 .

² سعيد سلام، التناص التراثي، الرواية الجزائرية أنموذجا، عالم الكتب الحديث، إرب، الأردن، دط، 2010، ص 173 .

الجزائريين كان لها النصيب والحظ الأوفر في هذا الجمود ولكن رغم ذلك « تعتبر الجزائر وأدبها تجربة فريدة في تاريخ الآداب القومية . »¹

إذ أن « النثر أشد التصاقا بالأرض من الشعر، وقد تجلت هذه الحقيقة في النثر الجزائري بعامة والرواية بخاصة ذلك أن ظروف الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى قد ساعدت على ظهور المذهب الواقعي الذي وجد فيه الكتاب على اختلاف ميولهم وثقافتهم مجالا للتعبير عن واقع البلاد بما فيه من متناقضات، وعزلة وحرمان والوقت الذي كان يعاني فيه الشعب من الشقاء المزمّن والقيود الثقيلة ولذلك عالج النثر في تلك الفترة الموضوعات المادية الصميّة الصارخة، كالفقر والتعليم والحرية وغيرها من الموضوعات التي كان الشعب يشكو منها. »²

وقد حاول الكتاب جاهدين تطوير هذا الفن ليصبح مهيمنا في الأدب العربي المعاصر ويحظى بمكانة كسائر الأجناس الأدبية الأخرى ويمكن القول أن البذور الأولى للرواية الجزائرية كانت بعد الآثار التي خلفتها الحرب العالمية الثانية فقد أحدثت نتائج عميقة، وأثرت في مجريات الأحداث من حيث التسلسل والتتابع وهنا ظهرت بعض المحاولات القصصية، إن لم نقل مجموعة وذلك على يد الروائيين الجزائريين وكان أول عمل من هذا النوع هو «هو حكاية العشاق في الحب والاشتياق» لمحمد بن إبراهيم " وهذه القصة في مستوى بين القصة الشعبية والرواية الفنية تلتها محاولات أخرى في شكل رحلات وتبعثها أعمال بدأت تعانق الفن الروائي بوعي قصصي. »³

وهناك من الكتاب من يرى أن البدايات الفعلية للرواية الجزائرية كانت مع بداية السبعينيات رغم وجود بذور تمهد لها تمثلت في النص الذي يعد فاتحة التأريخ لجنس الرواية « وهو عادة أم القرى لأحمد رضا حوحو يعالج وضع المرأة في البيئة الحجازية

¹ محمد خضر سعاد، الأدب الجزائري المعاصر، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، دط، 1967، ص 146.

² أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007، ص56-57.

³ المرجع نفسه، ص 57.

وكذلك قصة كتبها عبد المجيد الشافعي، وأطلق عليها عنوان الطالب المنكوب ¹ إضافة إلى ذلك أعمال « الحريق لنور الدين بوجدره وصوت الغرام لمحمد منيع والطريق الدامية لأحمد الخطيب » ².

غير أن تلك الأعمال تميزت بكثير من الضعف والسذاجة فلم تتمكن من الدخول إلى عالم الرواية الحقيقي بما تقتضيه من بناء فني، ورؤية ناضجة فظلت خالية من روح الإبداع والابتكار ولم تستطع أن تزح تلك الغيمة السوداء، والضبابية التي خيمت على الساحة الأدبية في تلك الفترة وتبقى مجرد محاولات قصصية تدرج ضمن ما يمكن تسميته بإرهاصات الرواية الجزائرية، والسبب في ذلك يرجع إلى أن هذا « الفن صعب يحتاج إلى تأمل طويل، وصبر وأناة ثم يتطلب ظروفًا ملائمة تساعد على تطوره وعناية الأدباء به والرواية تتطلب لغة طيعة مرنة قادرة على تصوير بيئة كاملة، وهذا لم يتوفر سوى بعد الاستقلال أضف عدم توفر نماذج جزائرية يقلدونها أو ينسجون على منوالها ³ ورغم ذلك لا يمكن أن ننفي أن الروائي الجزائري قد حاول جاهداً كي يطور هذا الفن ويخلق فرصة تعد أولى من نوعها، رغم كل الضغوط التي تعرض لها والتي كادت أن تشل إبداعه وتوصله إلى مرحلة العجز. ويقول الأعرج واسيني عن أسباب عدم ظهور الرواية في الستينيات وتأخرها إلى السبعينيات « لأن الظرف التاريخي بكل مفارقاته الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والثقافية زيادة على أن ثقافة الأديب نفسه لم تكن لتساعده ولا لتسهم في ظهور الرواية ولكنها خلقت التربة الأولى التي ستبنى عليها أعمال أدبية فيما بعد خصوصاً مع التحولات الديمقراطية في بداية السبعينيات حيث شهدت

¹ محمد مصاييف، النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1983، ص 138 .

² سعيد سلام، التناص التراثي، الرواية الجزائرية أنموذجاً ص 174.

³ عبد الله ركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القبة، الجزائر، د ط، 1974، ص 236-237.

الرواية تطورا وتنوعا، لم تعرف له مثيل من قبل ولا من بعد لحد الآن فكانت من أهم الأعمال الروائية «¹

التي عدت الانطلاقة الفعلية والحقيقية للرواية الجزائرية ولاقت العديد من التشجيعات واستحسنها القراء وعدوها تجربة فريدة من نوعها متمثلة في رواية ربح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة حيث يعتبرها مصطفى فاسي « أول رواية جزائرية حديثة جادة ومتكاملة باللغة العربية ».²

أضف إلى ذلك أن « الرواية الجزائرية حديثة النشأة غير مفصولة إذن عن هذه الحداثة في الوطن العربي كله مشرقه ومغرب، سواء في نشأتها الأولى المترددة أو في انطلاقتها الناضجة، ولم تأت عموما بمعزل عن الرواية الأوروبية وعليه فإن نشأة الرواية العربية ومنها الجزائرية لم تأت من فراغ ولذا فهي ذات تقاليد فنية وفكرية في حضارتها ».³ ذات أبعاد سياسية واجتماعية وترجمة لمختلف الحالات النفسية، وما يصاحبها من مؤثرات فلم تعد ذلك الجانب الذي يعبر عن ما يختلج في النفس من عواطف ومكنونات وحسب بل هي أعمق من ذلك، تحاول أن تستوعب كل الدلالات والتأويلات وتتغلغل إلى الروح معبرة بذلك عن الواقع والمتخيل.

كما سبق الذكر بأن رواية "رياح الجنوب" استطاعت أن ترتقي بالنثر الجزائري وقد سبقتها رواية « "ملا تذرّوه الرياح" إلى الظهور ثم يضم إلى الروائيتين رواية "الزلال" ورواية "الاز" للطاهر وطار ».⁴

فهي « تخطو مرحلة التأسيس نحو خطوة متقدمة ذات اعتبار وهي تجمع ملامح من أشكال السلوك في واقع الثورة الجزائرية، وواقع ما بعد الاستقلال ومهما يكن من شيء فقد

¹ صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية دراسة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ط1، 2003، ص53-57.

² عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، د ط، 1995، ص 195 .

³ مصطفى فاسي، دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصة للنشر، الجزائر، د ط، 2000، ص 7 .

⁴ محمد مصاييف، النثر الجزائري الحديث، ص138 .

نشأت الرواية الجزائرية الفنية تتكى على حمل الواقع المعيش سياسيا واقتصاديا واجتماعيا. ¹ «

والملاحظ أن رواية ربح الجنوب تشترك مع رواية الزلزال في نفس الموضوع كما قال عبد الله ركيبي « فهي تعنى بالثورة الزراعية. ² «

وبالتالي فالرواية الجزائرية هي « فرع من عمارة الرواية الحديثة وهي حركة حاولت التميز عن سواها السائد والتفرد بطرائق سردية فعارضت وخالفت القاعدة ³ . «

كما أن الرواية الجزائرية لم تعرف تعريفا محددا، والسبب راجع إلا أن هذه الكتابات لم تقبل في الساحة الأدبية لأن معظم النقاد والمؤرخين رأوا فيها كسرا لعمود الرواية التقليدية والخروج عن المؤلف والمتعارف عليه، ولكن بالرغم من كل هذا إلا أن هذه الكتابات حاولت أن تحتوي الواقع بكل تناقضاته، وتعبر عن الواقع الراهن والسياسة والتطرف الديني وعن كل الأوضاع السائدة في المجتمع من ألم وحزن وضياح فكان التغيير واضحا من خلال إدخال الروح النقدية المعاصرة المعبرة عن ذواتنا بصدق التعبيرات والأحاسيس ذكرنا بأن هنالك عوامل كثيرة ساعدت على تأخر الرواية الجزائرية ونحن لا يمكن أن نتحدث عنها وعن تطورها دون ذكر المراحل التاريخية والسياسية التي مرت بها.

فهذا الفن كغيره من الفنون لا ينشأ هكذا، وإنما له مقومات وركائز يرتكز عليها ونلاحظ أن التاريخ الجزائري كان معقدا ومتشابكا، وذلك نظرا لتراكم أحداثه فبعد آثار الحرب العالمية الثانية جاءت حرب التحرير متمثلة في عاملين فترة ما قبل الاستقلال وما بعد الاستقلال « إذ نشطت الحركة السياسية وتعددت الأحزاب وظهرت تيارات المساواة والاستقلال والإصلاح، و كانت المحطة الحاسمة في ثورة نوفمبر (1954) التاريخية أما بعد الاستقلال كانت الوضعية العامة للجزائر مزرية، واقتصادها منهك فحمل الأدباء

¹ عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ص 220 .

² عبد الله ركيبي، تطور النثر الجزائري، ص 239 .

³ رابطة أهل القلم، أسئلة الحداثة في الرواية الجزائرية، منشورات مديرية الثقافة، سطيف، الجزائر، د ط، ص 122

على عاتقهم مسؤولية المساهمة في البناء وتصوير مظاهر العنف الذي يخوضه الشعب لإثبات وجوده ¹.

فهذا التاريخ العظيم للشعب الجزائري انعكس في الأعمال الأدبية حيث حاولوا ولو بجهد بسيط تصوير مظاهر العنف والتمزيق سواء للغة أو الوحدة الوطنية.

وكان للغة هي الأخرى جانب في هذا التغيير « فبحكم محاربة فرنسا للغة العربية وبفرضها للغة الفرنسية والثقافة الغربية، قد دفعت الجزائر للاعتراف من مناهل تلك الثقافة مما ساعدهم على إغناء تقاليدهم وتراثهم، وخلق أدب إنساني يقف في مصاف الآداب العالمية » ². وبذلك استطاع الروائي الجزائري إثراء رصيده والمساهمة في إحياء التراث والثقافة الجزائرية بالانفتاح على الآخر والأخذ منه.

لقد عمل كتاب الرواية على تطوير هذا الفن والولوج به إلى الأعماق ليصبح هذا الأخير مهيمناً إن لم نقل شبه مهيمناً في الأدب العربي المعاصر فالحديث هنا ليس مجرد الإشارة إلى الرواية الجزائرية فحسب، وإنما الرواية العربية بوجه عام حيث وجد في مخزونها الثقافي العديد من الكتابات النثرية، وهذا ما عرج إليه فيصل دراج في كتابه نظرية الرواية والرواية العربية حيث قال أنها « أنشأت في ظرف تاريخي مختلف يفتقر إلى العلوم الحديثة، وتكاملها ولذلك كان على هذه الرواية في زمن البدايات كما في الأزمنة اللاحقة أن تذهب في مسار خاص بها فكان عليها أن تنشئ ذاتها وبشيء من الصمت » ³.

فوجد لها أشكال عديدة ومختلفة تمثلت في المقال الأدبي، والقصة القصيرة، والمسرحية فتأثر بها الكتاب وحاولوا الإبداع فيها أكثر، وما يثير الانتباه هنا هو أن الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية إذا ما قارناها بتلك المكتوبة بالفرنسية نجدنا متأخرة نوعاً ما « وربما يعود تفوق الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية إلى الخلفية الثقافية للكتاب فبينما وجد

¹ صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، ص 48-50.

² محمد خضر سعاد، الأدب الجزائري المعاصر، ص 4.

³ فيصل دراج، نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، د ط، 1999، ص 6.

الكتاب بالفرنسية مجالا رحبا للاحتكاك بالثقافة الغربية التي تزخر بالروايات القيمة افتقر الكتاب بالعربية إلى مثل هذه التجربة لأن الروائيين العرب أنفسهم اتجهوا وبدورهم نحو الرواية الغربية لينهلوا منها ¹ .

وذلك نتيجة للتعليم المحتشم الذي كان سائدا في تلك الفترة فلم يظهر من رجال الفكر والأدب من يدعو إلى الأخذ من الأدب العربي ، فكان لزاما على الجزائري أن يفتح على الآخر في محاولة منه لإحياء التراث والثقافة الجزائرية .

وإذا حاولنا أن نرصد مسار الرواية الجزائرية خاصة تلك المكتوبة بلسان عربي منذ مطلع السبعينات إلى يومنا هذا نجدها تطورت في نواحي عديدة من حيث التقنيات والآليات وأيضا المضامين والخصائص ، متجاوزة بذلك كل ما هو مألوف ومتعارف عليه فقد لبست ثوبا جديدا أكسبها حلة جميلة.

صانعة بذلك الفارق وبخطوات متقدمة تكاد تقترب من الرواية الفرنسية في أسلوبها وصياغتها وبنائها الفني الناضج متحدية كل الصعاب ، والعراقل لنقل ملامح الواقع السياسي والاجتماعي برمته، وهذا ما أكدته "فضيلة الفاروق" حينما قالت « نعم فالروائي الجزائري مهووس بقضايا مجتمعه لدرجة الموت وحده الكاتب الجزائري واجه الإرهاب بقلمه وراح ضحية جرأته تلك لأنه دافع عن مجتمعه، وأدان الإرهاب وقد نقلت الرواية الواقع بكل وجوهه » ² .

وتجلياته حرصا منها على مناقشة كل ما ينطوي تحت دفينتها أما عن « باكورة النتائج الروائي الجزائري الذي تتوفر فيه عناصر الفن الروائي فكان في عهد الاستقلال ويتمثل كما سبق الذكر في رواية "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة وقد أعقبها

¹ عابدة أديب بامية، تر: محمد صقر، تطور الأدب القصصي الجزائري ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1967، ص60.

² فهد الحسين، أمام القنديل حوارات في الكتابة الروائية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2008، ص156.

سيل من الإنتاج الروائي الناضج ولما كان التراث جزءا جوهريا في حياة الأمم والشعوب فهو كان ولا يزال خزان علم ومعرفة، يغترف من بحره كتاب الرواية الجزائرية ¹.
مستغلين الإمكانيات التي أمدت الروائي بكثير من الدلالات التي يثري بها إبداعه ورصيده المعرفي ليعبر للعالم عن مدى قدرته للاتصال بالثقافة .

من خلال ما سبق ذكره يمكن القول أن فترة السبعينيات هي كغيرها من نصوص التجربة الروائية الجديدة الطامحة للتحضر والرقى، مستوعبة بذلك كل ما طرحه الواقع من إشكاليات ذاتية وروحية واجتماعية، معبرة عن الفرد والجماعة فيها سبق على الإصرار والتطلع والرغبة في العطاء كما تميزت فترة الثمانينيات هي الأخرى على الجودة الفنية والغزارة في الكتابة بروى نقدية جميلة فظهرت « موجة الرواية المعارضة للدولة "واسيني الأعرج، رشيد بوجدر، الأمين الزاوي" أما في التسعينيات فالرواية تناضل ضد الحكومة الفاسدة فقد أصبحت سلاحا ذو حدين أمثال "مفتي بشير، أحلام مستغانمي، فضيلة الفاروق... » ² وغيرهم كثيرون الذين حملوا راية التغيير والكفاح والمناضلة بطرق راقية وبأعين مفتوحة على كل المجريات والأحداث.

وبهذا « فرواية الستينيات هي غير رواية السبعينيات والثمانينيات من حيث النضج الفني والرؤية الفكرية وربما كانت للأوضاع السياسية خاصة الثقافية، الاجتماعية، الاقتصادية الدور الفعال والمؤثر في ولادتها ونضجها الفني هذا النضج الذي تعدد واختلف بين بلدان المغرب العربي وتعداه إلى الكتاب فيما بينهم. » ³
فقد حاول الأديب في الجزائر مثله مثل بقية المبدعين والروائيين في الوطن العربي أن يكون مساهما للنظام من مشاريع واتجاهات وأفكار سياسية مسلطا بذلك الضوء على كل ماهو غامض.

¹ سعيد سلام، التناص التراثي، الرواية الجزائرية أنموذجا، ص 176 .

² فهد الحسين، أمام القنديل حوارات في الكتابة الروائية، ص 156 .

³ بنية سليمة، الرواية الجزائرية الجديدة ، أحلام مستغانمي " أنموذجا ،"رسالة ماجستير، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2007 ، ص 46.

« وقد تجاوزت الأعمال الروائية خلال خمسة وعشرين سنة 30 عملاً إبداعياً »¹

ورغم كل العثرات التي وقعت فيها الرواية الجزائرية من بدايات بسيطة وساذجة إلا أنها تمكنت من تحقيق النجاح المنشود، وذلك على يد كوكبة من الروائيين الجزائريين فهي اليوم تقف في مصاف الرواية العربية وحتى العالمية، وفتحت أبوابها على الحداثة فقفزت قفزة نوعية واتخذت عديداً من التيارات واللوحات الفنية النابضة بالنضج الفني والرؤية العميقة معبرة وعاكسة لكل الأوضاع الفردية والجماعية، بمصادقية وشفافية تفجر منها الوعي والإرادة فلم تكن مجرد وسيلة للترفيه، وإنما اتخذت من المعارك صفحات ومجالات مرسوماً عليها الحزن والأسى للجزائريين جراء المستعمر، وبذل الدم أسالوا الحبر مصورين بذلك كل الأزمنة والأمكنة التي كانت تحت وطأة الفقر والجوع كما دخلت في مكونات النفس البشرية، إذن فالرواية الجزائرية استطاعت وضع بصمتها على الأدب العربي المعاصر وصارت محل اهتمام من قبل النقاد والمؤرخين.

¹ عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ص 24 .

الفصل الأول

الاغتراب: مفاهيم وإضاءات

1-الاغتراب لغة واصطلاحا

1-1الاغتراب لغة

1-2الاغتراب اصطلاحا

2-الاغتراب في الفكرين العربي و الغربي

1-2في الفكر العربي

2-2في الفكر الغربي

3-أبعاد الإغتراب ومظاهره

4-أنواع الاغتراب

1/ الاغتراب لغة واصطلاحاً :

حمل مفهوم الاغتراب معاني ودلالات متنوعة سنحاول رصدها في جانيبه اللغوي والاصطلاحي .

1-1- اللغة:

يعد مصطلح الاغتراب من أكثر المصطلحات التصاقاً بالإنسان إذ أن جذوره ليست وليدة الحياة المعاصرة فحسب، بل هي قديمة بقدم التاريخ البشري « وهو قضية تزامنت مع نزول الإنسان على سطح الأرض حيث اغترب عن وطنه الأول الفردوس. »¹

فعرف في كل المجتمعات وعبر كل العصور، وحظي باهتمام الأدباء والمفكرين والفلاسفة والفنانين إذ نجده قد زاحم العديد من المفاهيم في كتب النقد، والأدب وعلم النفس تاركاً بصمته المؤثرة في مؤلفات متنوعة بتنوع مجالاتها وعلى الرغم مما كتب عن الاغتراب أو لكثرة تلك الكتابات، وبسبب تضارب الآراء والتوجهات فإن مفهومه مازال يكتفه بعض الغموض والضبابية والاختلاف في الرأي، وأسلوب المعالجة فكان من الصعب أن نجد تعريفاً موحداً له من قبل الدارسين والباحثين، وبما أن الشعور بالاغتراب حديث العهد بأيامنا رأينا أن نفرد له فصلاً للتعريف به ، وذلك لإجلاء اللبس عنه فورد في مجال اللغة على لسان ابن منظور في مادة (غرب) « الغربة النوى والبعد والتغريب النفي عن البلد الغربة والغروب النزوح عن الوطن ،ومنه الفعل اغترب يغترب أي نزح عن الوطن و نأى عنه »².

وهذا ما عبر عنه عدد من الشعراء نذكر من بينهم الأعشى إذ يقول:

« وَمَنْ يَغْتَرِبُ عَنْ قَوْمِهِ لَا يَجِدُ لَهُ
عَلَى مَنْ لَهُ رَهْطًا حَوَالِيَهُ مَغْصَبًا

وَيُحْطَمُ بِظُلْمٍ لَا يَزَالُ يَرَى لَهُ
مُصَارِعُ مَظْلُومٌ مُجَرًّا وَمَسْحَبًا »³

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 3، 1994، مادة (غرب)، مج1، ص637- 638.

² كاميليا عبد الفتاح، الشعر العربي القديم، (دراسة نقدية تحليلية لظاهرة الاغتراب)، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط 1، 2008، ص5.

³ الأعشى، الديوان، تح: محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 4، 1983، ص 163 .

فالأعشى هنا يعبر عما يلقاه الغريب من مذلة وإهانة مظلوم ومهضوم الحقوق. وتكرر المعنى نفسه في المعجم المحيط « الغربة بالضم النزوح عن الوطن، وأيضا الاغتراب والتغرب، ونجد غرب غاب كغرب ويعد واغترب ، تزوج في غير الأقارب »¹ أي الذي يتزوج من غير أقاربه، عند العرب القدامي على وجه الخصوص يصبح خارجا عن العادات والتقاليد والأعراف السائدة، ويعتبر منفردا عليها فيصير بذلك غريبا ومغتربا بحكم عدم زواجه من بنات العم مثلا وكأنه معزول عن بني قومه فدلالات الاغتراب تنوعت في معاجم وموسوعات كثيرة عربية وأجنبية جاءت كلها بمعنى الشوق والحنين والفرق عن الوطن متعلقة بالبعد المكاني .

أي كل من بعد عن أهله فقد سكن الغرب، وكل بعيد مكانا أو إدراكا فهو غريب يصاحبه شعور بالانزعاج والقلق مفتقدا للأهل والديار والأحبة، متجرعا طعم وألم الفراق يعاني من غربة قاتلة وتكرر المعنى نفسه في معجم محيط المحيط إذ يقول: « واستغرب الرجل واستغرب معلوما ومجهولا، بالغ في الضحك، واستغرب الشيء وجده أو عده غريبا. »²

كما ورد في معجم الوسيط هذا المفهوم بقوله: « اغترب نزع عن الوطن واحتد ونشط وفلان تزوج في غير الأقارب وفي الحديث: "اغتربوا لا تضووا" تغرب نزع عن الوطن واستغرب الرجل في الضحك بالغ فيه. »³

وتعرض معجم الرائد لهذا المعنى نذكر من لسانه « غرب يغرب: غربة وغربا وغربة بعد عن وطنه »⁴.

¹ الفيروز أبادي، المعجم المحيط، محمد بن عبد الرحمان المركشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط4، 1997، ج1، 206-207.

² بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون ، دط ، 1987، باب (الغين)، ص654.

³ إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، ط2، 1960، ص647.

⁴ جبران مسعود، الرائد معجم ألفبائي في اللغة والأعلام، دار العلم للملايين، مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص639.

وورد في القرآن الكريم دلالات وإشارات تحمل معنى الغربة والاغتراب وبذل المشقة والجهد فكان اغترابنا الأول متمثلاً في قصة سيدنا آدم عليه السلام عندما عصا ربه فأخرجه الله تعالى من الجنة ومن نعيمها السرمدي، وعليه فاغتراب الإنسان كان منذ تنشئته الأولى وجاء في كتاب الله بمعنى الخروج من الدار قال الله تعالى في سورة البقرة: « ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ »¹.

أما المعنى الثاني فتمثل في الهجرة لقوله تعالى في سورة النساء: « وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ »².

وجاء المعنى الأخير مجسداً في النفي قال عز وجل في سورة المائدة: « أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ »³. من خلال هذه التعريفات والمفاهيم، نصل إلى أن أغلب المعاجم العربية والقواميس اللغوية اجتمعت على نفس الدلالات، والإيحاءات تدور كلها حول دائرة من المعاني والمترادفات والاشتقاقات بحكم طبيعتها المشتقة من الجذر اللغوي (غرب) معبرة عن المعنى المكاني في جانبه المادي، وبذلك غدا المعنى المشترك هنا هو الانفصال والابتعاد وهذا يقودنا للقول بأن كل من (الغربة والاغتراب) لا يوجد خلاف جوهري بينهما وقد يكون أحدهما سبباً عن الآخر أو مسبباً عنه .

-الاغتراب في اللغات الأجنبية :

إذا بحثنا في مفهوم الاغتراب من وجهة عربية وعالمية ، سوف نجده يتعدد بتعدد المفاهيم واللغات « فالأصل اللاتيني لكلمة اغتراب هو Aliénation ويستمد هذا الاسم معناه من فعل Alianare بمعنى تحويل شيء ما لملكية أي آخر أو الانتزاع أو الإزالة وهذا الفعل مستمد بدوره من فعل آخر هو Alienus أي ينتمي إلى شخص آخر أو يتعلق

¹ سورة البقرة الآية "85" .

² سورة النساء الآية "100" .

³ سورة المائدة الآية "33" .

به وهذا الفعل الأخير مستمد بصفة نهائية من لفظ Alius الذي يعني الآخر سواء كإسم أو صفة ¹ «

كما استعمل هذا المصطلح في اللغة الفرنسية والإنجليزية والألمانية باعتبار أن هذه اللغات تبحث في المفهوم والمعنى نفسه للاغتراب فكان المقابل للكلمة العربية « اغتراب أو غربة هو الكلمة الإنجليزية Alienation والفرنسية Alienation وأصلها من الكلمة اللاتينية أليئاتو Alienatio وقد استخدمت كلمة الاغتراب في العلاقات الإنسانية لتدل على الإحساس الذاتي بالغربة أو الانسلاخ Detachment، سواء عن الذات أو عن الآخرين ² «.

وبالنظر إلى مصطلح الاغتراب نجده لامسته مجموعة من التغيرات في استخداماته المختلفة وذلك حسب وجهات النظر، من قبل الفلاسفة والمفكرين فأصبح يعني « الانتماء إلى ما هو أجنبي ولكنه استعمل في وقت مبكر للغاية بصورة فعلية فيما يتعلق بما يعكس أي نوع من الغربة ، ومن هنا فإن المعاني الحرفية للفظ Entfremdung الألماني الذي يعني الغربة ولفظ Alienation الإنجليزي الذي يعني الاغتراب والأفعال المشتقة منها متماثلة للغاية ³ «

وكما ذكرنا سالفاً بأن له استخدامات ومعان عديدة في اللغة اللاتينية نذكر من بينها:
أ- **الاغتراب بمعنى نقل الملكية:** يعني هذا « تحويل ملكية شيء ما إلى شخص آخر ومعنى هذا أن ما هو ملك لي وينتمي إلي يصبح ملكاً لغيري غريباً عني كما يتضمن

¹ ريتشارد شاخنت، الاغتراب تر: كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1980، 63.

² يحيى الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي "الحنين إلى الأوطان"، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د ط، 2007، ص 16 .

³ ذياب قديد، المتنبى بين الاغتراب والثورة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط2011، ص13.

الاغتراب ما يمكن تسميته تشييء Méification العلاقات الإنسانية أي تحول الموجودات الإنسانية إلى أشياء، وهنا يصبح الإنسان مجرد سلعة ويفتقد سمته المتعالية كإنسان¹. وبالتالي الشيء الذي أعده ملكا لي يصير غريبا، وبعيدا عني وينتقل لمكان آخر يضع سلطته عليه.

ب - الاغتراب بمعنى الاضطراب العقلي :

نترصد هذا المعنى في مجال الطب والأمراض العقلية « وذلك حينما يتعلق الأمر بحالة فقدان الوعي أو قصور القوى العقلية أو الحواس كما هو الحال على سبيل المثال في نوبات الصرع »².

والتي تنتج حالة من الانفصال وانشطار الذات إلى داخلية وخارجية يعتربها صيحات متفردة ناجمة عن مشاعر حبيسة من الوعي الفكري تعاني الضعف وعدم التكيف مع الواقع فتتلاشى الرؤية العقلية، وتدخل هنا في حالة من الإحباط والتذمر اللامتناهي .

1-2 اصطلاحا:

عرف مصطلح الاغتراب الكثير من الاهتمام إذ أصبح الوعاء الأمثل الذي يعبر عن مشكلات الفرد والمجتمع راصدا كل ملامح الحياة الإنسانية من تناقضات، وصراعات مع الواقع والوجود مجسدا أزمة الإنسان المعاصر، وما يعانيه من اضطراب وقلق وقهر فنجدته تطور تبعا لاختلاف الزمان والمكان، والتطور الفكري والفلسفي، وصار يستعمل في شتى مناحي الحياة بكل صورها الحزينة المغترية التي مست الإنسان « فتحول كل شيء

¹ فيصل عباس، الاغتراب " الإنسان المعاصر وشقاء الوعي"، دار المنهل اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص20.

² علي العلوي، الذات المغترية والبحث عن الخلاص، (الشعر المغربي المعاصر أنموذجا)، درا الوطن للصحافة والطباعة والنشر، الرباط، المغرب ، ط1، 2013، ص17 .

إلى مرارة مخزنة حطمت الإحساس السابق بالرضا والقبول وفتحت المجال أمام التمرد والغربة وأصبحت الأيام سجنا أبديا للإنسان، والأرض وجودا ملعونا بما فيه من ذوات ¹ تولد الشعور بالألم والتمزق والضياح تؤثر في الذات، وتجعلها معزولة سواء عن ذاتها أو عن ذوات الآخرين.

كما ناقش العديد من العلماء والفلاسفة ظاهرة الاغتراب بالدراسة والتحليل والتمحيص مفصلين فيها تفصيلا دقيقا كل حسب وجهة نظره، واعتقاده فقد وظف الاغتراب في علم النفس، وعلم الاجتماع، والفلسفة الوجودية هذه الأخيرة التي تختلف عن سائر العلوم الإنسانية إذ ترى أن « الاغتراب ميتافيزيقي الأصل، وليس مرتبطا بطبيعة خلق الحياة فهو داخل في صميم الوجود الإنساني داخل في نسيج الإنسان، ومهما حاول الإنسان أن يشفى من الاغتراب فإنه سيموت مغتربا لأن الحياة كلها اغتراب. » ²

فالإنسان هو المرتكز الاجتماعي الأول الذي عانى من الاغتراب خاصة « في فترة العصور الوسطى كان الشعب يعاني من الظلم والاستبداد والقهر، والاستغلال والعنف أدى إلى فتور العلاقات الروحية مع الذات الإلهية بسبب ممارسة رجال الكنيسة اللاهوت آنذاك » ³ وبهذا فهو أكثر اتساعا وعمقا في تاريخ البشرية موغل في القدم دال على « حالة نفسية يعاني أصحابها من الشعور بعدم الارتياح، وعدم الاستقرار والقلق والشعور بالضياح والعزلة، وهذا الشعور كثيرا ما يؤدي إلى نتائج نفسية منها تفكك مشاعر الفرد وإحساسه بعدم أهميته إذ يتميز هذا المعنى على شعور الفرد بانفصاله عن ذاته » ⁴ وعدم القدرة على السيطرة والتحكم في أهوائه، ورغباته المحمومة فتتفجر

¹ السعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث (مقوماتها وطاقاتها الإبداعية)، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 1984، ص 263.

² كاميليا عبد الفتاح، الشعر العربي القديم (دراسة نقدية تحليلية لظاهرة الاغتراب)، ص 11.

³ ينظر، حسين جمعة، الاغتراب في حياة المعري وأدبه، مجلة جامعة دمشق، ع1+ 2، مج27، 2011، ص26.

⁴ أحمد علي إبراهيم الفلاح، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري (دراسة اجتماعية نفسية)، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ط1، 2013 ص24.

تلك المكبوتات معبرة عن التوتر الذي حصده واعترى نفسيته اتجاه الواقع الجديد المفروض عليه أو بإرادته.

فتتنوع بذلك صور الاغتراب، لتمثل الواقع بكل حوافره وجذوره منها « اغتراب داخل الوطن واغتراب خارج الوطن، واغتراب عن المجتمع واغتراب عن الذات، وكلها أنواع مريرة وقاسية ولعل أقواها هو الغربة داخل الوطن بسبب الجوع و الفقر و الاضطهاد »¹

وإذا تتبعنا هذه الظاهرة نلاحظ أنها لم تعد مقصورة على مجتمع دون غيره أو زمن دون آخر « فالإنسان منذ بدأ يضرب في الأرض قد حمل بين جوانحه ضروبا من الأحاسيس بالغربة وعلاقة الإنسان بالأرض علاقة فطرية، ولاسيما مع مكان ولادته ونشأته فلم نجد أحد يختار الغربة بمحض إرادته إلا بفعل بواعث قوية فرضت عليه أن يجوب صحراء مترامية الأطراف »² عاكسة الشعور الإنساني بعذابات الروح المحطمة والمتقلة بالصدمات فينتج عنها « اغتراب الإنسان عن نفسه وعن عالمه »³ ينظر للعالم نظرة سوداوية مليئة بالأحزان الكثيبة فيصبح لا هدف له، ولا غاية وكأنه آلة في خضم الأحداث تحركها تيارات مختلفة « بقدر انتشار أوجه الحضارة، وتعدد وسائلها وتعقدها، تزداد ادراكات المرء لمدى الفجوة بينه وبين مجتمعه، وعوامل حضارته ويشعر بالغربة والوحشة ويتمثل ذلك في الفناء النفسي والإحساس بالدونية، والعدم والسخط والعزلة والهروب »⁴.

على هذا الواقع المرير الذي أصاب الروح وأحسسها بالعجز عن تحقيق طموحاتها وبانتت الغربة الهاجس الذي يطارد النفس ويخنق الروح « تتلون بطبيعة صاحبها

¹ يحي الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، "الحنين إلى الأوطان"، ص17.

² نوزاد حمد عمر، الغربة في شعر كاظم السماوي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، دط، 2012، ص13.

³ عبد المنعم تليمة، مقدمة في نظرية الأدب، دار التنوير للطباعة والنشر، مصر، القاهرة، ط1، 2013، ص56.

⁴ علي عبد الخالق علي، ظاهرة الاغتراب وصداها في الشعر المعاصر بمنطقة الخليج، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، ع7، 1990، ص98.

وبالمجتمع وما يحكمه من أنظمة ومؤسسات، وبطبيعة العصر بما يحتويه من قيم وأعراف والغربة ظاهرة قديمة رافقت المجتمعات منذ بدء الخليقة ¹ « واشتق منها كلمات عديدة تصب كلها في خانة واحدة، كالاغتراب، والتغرب، والتغريب، والغرب، بمعنى البعد والانفصال والتهجير سواء أكانت الأسباب سياسية أم اجتماعية أو اقتصادية كما نعثر على مفهوم الاغتراب عند "سارتر" والذي « يعني اغتراب المرء عن ذاته ويستخدم اصطلاح الاغتراب بمعنى معاشة المرء لذاته على نحو ما ينظر إليه ذات أخرى أي كموضوع » ² كما تحدث كارل ماركس في هذا الموضوع إذ يقول « أن البدايات الأولى للاغتراب تظهر عندما ينفصل الإنسان عن الطبيعة، وهو يمارس عملية الإنتاج فهو في هذه الحالة يغترب عما يقوم بصنعه وفي نفس الوقت يغترب عن كيانه ذاته الذي تسرب منه داخل عملية الإنتاج ومعنى ذلك أن الأوضاع الاجتماعية البدائية هي العلاقة التي تربط الأفراد ببعضهم » ³ وبالتالي الأشخاص الذين يعملون في قطاع الإنتاج هم غرباء تماما كما أن الإنسان اغترب في « قديم عهده عن الطبيعة فتميز عنها، وحقق طبيعة إنسانية لكن الإنسان بعد ذلك اغترب في المجتمع بظهور الملكية الخاصة، وقيام المجتمع الطبقي » ⁴ فنتج عن ذلك اغترابه عن نفسه وعن المحيطين به.

¹ عمر بوقرورة، الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث، مركز منشورات جامعة باتنة، د ط، الجزائر، 1962، ص14.

² ذياب قديد، المتنبي بين الاغتراب والثورة، ص17.

³ عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر ط 1، 2003، ص19.

⁴ عبد المنعم تليمة، مقدمة في نظرية الأدب، ص 56 .

2/ الاغتراب في الفكرين العربي و الغربي:

2-1 الاغتراب في الفكر العربي:

الاغتراب ظاهرة واكبت حياة الأمم، ولاحقت المجتمعات في كل الأمكنة والأزمنة معبرة عن روح الفرد والجماعة هذا ما جعله ينال أهمية كبيرة من قبل العلماء والمسلمين والفقهاء، وأصحاب الاختصاص إذ عمدوا على شرحه وتبينه، وتفصيله تفصيلا دقيقا في مؤلفاتهم العديدة والمتعددة خاصة في الفكر العربي الإسلامي.

" فالهروي الأنصاري " يعرف الاغتراب بأنه « أمر يشار به إلى الإنفراد على الأكفاء والإنفراد إما أن يكون بالجسم، وإما بالفعل وإما بالهمة أما الإنفراد بالجسم فهو الاغتراب عن الوطن، وهذا الاغتراب مشترك بين الناس جميعا لأنهم في دار ليست دار مقام وأما الإنفراد بالفعل فهو غربة أهل الصلاح والتقوى بين أهل الفسق والفجور، وغربة الصديقين بين المنافقين، وغربة العلماء بين الجاهليين، وأما الإنفراد بالهمة فهي غربة يعرفها "الهروي الأنصاري" بقوله غربة طلب الحق وهي غربة العارف، لأن العارف في شاهده غريب، ومصحوبة في شاهده غريب، وموجودة فيما يحمله علم أو يظهره وجد أو يقوم به رسم أو تطبقه إشارة أو يشمله اسم غريب، فغربة العارف غربة الغربة ¹ « ومن هنا يتبين أن الاغتراب بالمعنى الإسلامي هو اغتراب عن الحياة الفانية الآيلة للزوال كما تجسد غربة "أبي ذر الغفاري" « مفهوم الاغتراب في غربة المكانية والزمانية التي انتهت بالنفي القسري له ولأفكاره بعيدا عن الجماعة التي عاش مكافحا من أجلها ² « ومن جانب آخر وردت مفردة (غربة) في أحاديث نبوية كثيرة لم تعن بالغربة المكانية، بل ركزت على الغربة الاجتماعية والنفسية للفرد وتمثل هذا في قول رسول الله صلى الله عليه

¹ علي العلوي، الذات المغترية والبحث عن الخلاص، ص 33-34 .

² صالح زامل، تحول المثال (دراسة لظاهرة الاغتراب في شعر المتنبي)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2003، ص 16 .

وسلم: « بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء »¹. فقد ورد هذا الحديث بروايات عديدة مفسرة للمعنى الاغترابي، والإسلام في بداياته كان غريبا لم يلق النصر والإقبال الكثير وكان المستجيب للدعوة الإسلامية يوصف بالغريب بين أهله وأصحاب دياره وبنو عشيرته يتحمل الذل والمهانة، صابرا على الأذى فسمي الداخلون في الإسلام آنذاك غرباء ثم زالت تلك الغربة على مر الزمن بدخول الناس في دين الله أفواجا واعتناقهم لدينهم واستقامتهم فيه بنصرهم له إلا أنهم وقعوا في فتنة الشهوات مرة أخرى، وأصبحوا أعداء بعد أن كانوا إخوة متحابين فارتكبوا المعاصي، وسفكوا الدماء وهم في آخر الزمان الغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس، وينقضون دينهم من الفتن والأهواء فيصبحون قلة قليلة غرباء في مجتمعاتهم².

كما أشار المتصوفة للاغتراب وأعطوه عناية فائقة « فجاء معنى الغريب، والغرباء عند الصوفية من يجتنب المجتمع، ويرافق الاغتراب العزلة والتوحد »³ والمسلمون الأوائل تغربوا بين أهلهم فاضطروا للهجرة إلى الحبشة ثم المدينة، فغدو غرباء وحلوا ضيوفا في بيوت الآخرين ولامس الاغتراب الأنبياء الصالحين ورافقهم في مسيرتهم النبوية فالنبي إبراهيم تغرب حيث خرج من العراق إلى الجزيرة والرسول صلى الله عليه وسلم عانى كذلك من هذه الظاهرة متحملا وصابرا على أذى قومه من بني قريش، واضطر للهجرة كما أن البيئة المتصوفة « حمل منهجهم في الوجود، وهدفهم من الحياة في مجمل معانيه على كل (خارج) يمثل الإعاقة عن الاتصال بالذات الإلهية والذوبان فيها، ومن ثم مثل الإعاقة عن التوحد والكمال وإدراك الحقيقة والتخلص من أدران الجسد حيث نجد أن "ابن العربي"

¹ الإمام أبي الحسين مسلم، صحيح مسلم، تح: أحمد زهوية وأحمد عناية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص80.

² ينظر، علي العلوي، الذات المغترية والبحث عن الخلاص، ص31.

³ كاميليا عبد الفتاح، الشعر العربي القديم (دراسة نقدية تحليلية لظاهرة الاغتراب)، ص136.

احتفى بمعاني الاغتراب في فتوحاته المكية خاصة ما يتصل منها بالأمور الميتافيزيقية»¹

كما تناول ابن قيم الجوزية هذه الدلالات والتعابير عن الغربة والاغتراب في مؤلفاته ومنها "مدراج السالكين" «حيث يصف لنا ثلاثة أنواع من الغربة: الأولى: غربة أهل الله وأهل سنة رسول الله بين هذا الخلق وهي الغربة التي مدحها الرسول صلى الله عليه وسلم .

الثانية: غربة مذمومة وهي غربة أهل الباطل وأهل الفجور بين أهل الحق الثالثة: غربة مشتركة لا تحمد ولا تذم، وهي الغربة عن الوطن»²

بهذا يتضح لنا أن معنى الاغتراب الإسلامي، اغتراب عن النظم الحياتية الزائفة وغير العادلة وذلك بمقاومة الناس لمغريات الحياة، والتغلب عليها وعلى تلك النظم السائدة وغير المتوازنة» وهناك من يرى أن الإسلام في جوهره ظاهرة اغتراب وتحول اجتماعي نوعي بحكم كونه هجر عبادة الأوثان والأصنام يثور على النظام الاجتماعي»³ فسعى الوجود الإنساني إلى الارتقاء عن الذات الأرضية، ومعايشة الذات السماوية التي تضمن الاطمئنان النفسي والهدوء الروحي والجسدي.

فالاغتراب تسلل إلى نفوس الناس واستولى على حياتهم سواء أكان اجتماعيا أم نفسيا» ولعل أول ملمح لمصطلح الاغتراب، هو ترابطه ومفهومي الضياع الروحي والغربة النفسية وحين تتصل هذه المفاهيم بالذات الإنسانية فإنها تحيل على دلالة واحدة هي فقدان هذه الذات لكي تكونتها الحرة لأن غربة النفس استيلا ب لحريتها»⁴

¹ كاميليا عبد الفتاح، الشعر العربي القديم، ص 06.

² ابن قيم الجوزية، مدراج السالكين (بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين)، تح، محمد المعتمد بالله البغدادي، ص 857-858.

³ أحمد علي إبراهيم الفلاحي، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري، (دراسة اجتماعية نفسية)، ص 17.

⁴ مصطفى الشاذلي، ظاهرة الاغتراب في النقد العربي، مطبعة آفرو برانت، فاس، المغرب، ط1، 2009، ص 32 .

وبهذا فالاغتراب، هو التجنب والانفصال عن الله وكيف لا يغترب الإسلام في زماننا بعدما اشتد الطمع والركض، وراء مغريات الحياة وملذاتها مستخفين بالعبادات ودورها في تزكية النفس وتطهيرها كما نعثر في الإسلام على ثلاثة أصناف هي: المسلم، المؤمن العالم تقابلهم درجات.

« وهذه الدرجات الثلاث يقابلها ثلاث درجات من الاغتراب هي:

-اغتراب المسلم بين الناس

-اغتراب المؤمن بين المسلمين

-اغتراب العالم بين المؤمنين

ولعل غربة العلماء هي أشد أنواع الاغتراب لقلتهم بين الناس وقلة مشاركة الناس لهم ¹ فالإسلام اهتم بهذه المستويات وميزها عن بعضها « لقلة المسلمين وإنفرادهم بين الناس بالإذعان والانقياد سموا غرباء، ولقلة المؤمنين بين المسلمين، وإنفرادهم بالتصديق سموا غرباء، ولقلة العلماء بين المؤمنين وإنفرادهم بالعقل للحكم على صحة الإسلام والإيمان سموا غرباء » ².

وبذلك غدت الغربة بمعناها الديني الترفع عن موبقات الدنيا، والتصدي لها والثورة عليها والإسلام « دعا للنظر إلى الدنيا باعتبارها دار فناء ودار تحول وانتقال إلى دار البقاء فزهد المسلمون في الدنيا وثاروا عليها، وعلى كل ما يتصل بها عندما افتتن الناس بها واختل الميزان الاقتصادي والاجتماعي بين طبقات المسلمين فذاقت قلوب المسلمين والمصلحين في الأرض إزاء هذه الأوضاع » ³ المزرية فكافحوا ضد هذه الدنيا وأصحابها المسرفين وبالتالي اغترابنا الأول تمثل كما أشرنا سالفاً إلى قصة سيدنا آدم عليه السلام بالانفصال عن الجذور الأولى، والأصلية للإنسان « فأول غربة اغتربناها وجوداً حسياً

¹ علي العلوي، الذات المغترية والبحث عن الخلاص، ص 33 .

² فتح الله خليف، الاغتراب في الإسلام، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج 10 ، ع 1، 1979، ص 92.

عن وطننا غربتنا عن وطن القبضة عند الإشهاد بالربوبية لله علينا ثم عمرنا بطون
الأمهات فكانت الأرحام وطننا فاغتربنا عنها بالولادة. ¹ «

وهذا يقودنا للقول بأن الاغتراب إحساس عميق متجذر في كينونة الإنسان ، ووجوده
مرتبط بالتنشئة الأولى للفرد فمس جميع الفئات من فلاسفة، ومفكرين ونقاد وشعراء.

2-2 الاغتراب في الفكر الغربي:

على الرغم من كون الاغتراب من المفاهيم الفكرية الحديثة إلا أن جذوره ليست وليدة
العصر وإنما تعود إلى الدراما الإنسانية المتعلقة بقصة خلق الإنسان، وسقوطه من الجنة
وإلى الكتابات الفلسفية واللاهوتية القديمة من اجتهادات المفكرين، والفلاسفة الذين ساهموا
في بلورة هذا المفهوم فأصبح اليوم محورا أساسيا في معالجة الواقع بكل مآسيه فبرزت
أسماء لامعة من الباحثين، والدارسين الذين طرّقوا هذا الباب، ومنحوه أهمية العلمية التي
يستحقها ويعد هيجل Hegel (1770-1831) من أبرز المتحدثين عن هذا الموضوع
معبرا عن المشاكل الحياتية للإنسان، والاغتراب عنده « عملية تخارج الروح وتحقيقها من
دين إلى فن إلى سياسة إلى فلسفة، وهو عنده مزدوج الأول إيجابي (إبداعي)، والثاني
بمعنى الانفصال وعدم التعرف على الذات ،وهو اغتراب سلبي « ² ، فوظفه توظيفاً
مزدوجاً يشير إلى سلب الحرية من جهة وسلب المعرفة من جهة أخرى، والحرية التي
يقصدها هي امتلاك الذات لنفسها امتلاكاً حقيقياً، ويقابل تلك الحرية الجانب النقيض
المعاكس لها وهو الاغتراب متمثلاً في انفصال الإنسان عن ذاته مصعباً عليه التأقلم مع
الجماعة والآخرين بفقدانه لمعنى اللذة والمتعة.

كم تحدث عن الانفصال « المتأصل في وجود الإنسان، باعتباره فاعلاً وباعتباره
أيضاً موضوعاً لأفعال الآخرين، ولذلك يعد أول من عالج مصطلح الاغتراب في الفلسفة

¹ عبد الحق منصف، أبعاد التجربة الصوفية الحب -الإنصات -الحكاية، مطابع إفريقيا الشرق ،المغرب ،دط
2007، ص56.

² أحمد علي إبراهيم الفلاح، الاغتراب في الشعر العربي، ص21 .

الألمانية بحيث أصبح مألوفاً بعد أن طوره من جاء من بعده ¹ « تأكيداً منه على تحديد وجود الإنسان وعلاقته بالآخرين، وتموقعه في الواقع الاجتماعي من خلال الحرية التي ترغب فيها الذات وتسعى ورائها لتسترجع ذاتها المسلوقة، والمستلبة كما قدم لنا هيجل مثالا عن الشعب اليوناني الذي ظل محافظاً على تمسكه وتلاحمه في تلك الفترة فحصر الاغتراب في مرحلتين

« الأولى: وهي مرحلة المدينة الإغريقية وهي الحقبة التي كان يعيش فيها الفرد والجماعة في حالة اتحاد كامل، ولا يوجد انفصال بينهما بمعنى أن الإنسان الإغريقي لم يكن يشعر بأي توتر.

أما المرحلة الثانية: مرحلة العالم الروماني حيث أصبح الفرد يؤكد ذاته لذاته ولم يعد ينظر إلى نفسه على أنه مجرد جزء من الكل ².

وحديث هيجل عن الحرية والاغتراب مرتبط بمناقشته للديانات ونقده إياها فهي حسبه تؤدي إلى تغريب الإنسان عن ذاته، كون اليهودية تقوم على العنف والاستبداد وتكريس لعملية الفصل بين الله والإنسان فهي ديانة العذاب، والظلم تنظر نظرة سوداوية سلبية للعالم ونعثر في كتابه فينومينولوجيا الروح الصادر عام (1807) على حديثه عن الوعي والروح والعذابات التي تتعرض لها الذات « فالروح المغترية هي التي يكون وعيها ذا طبيعة منقسمة ومزدوجة ومجرد كائن متضاد ³ » واستخدم هذا المفهوم الكثير من العلماء والمفكرين المتخصصين في هذا المجال من قبل ومن بعد هيجل في مختلف مناحي الحياة ومن بينهم الفيلسوف فيورباخ Feuerbach (1804-1872) الذي عالجه معالجة تفصيلية فيه وعي بحماسة القضية فتكلم في كتابه "جوهر المسيحية" الذي كتبه سنة (1841) عن فكرته في الاغتراب الديني.

¹ علي العلوي، الذات المغترية والبحث عن الخلاص، ص 37 .

² عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، ص 15 .

³ علي العلوي، الذات المغترية والبحث عن الخلاص، ص 37 .

« والاغتراب عنده لا يتم إلا من خلال فلسفة الدين فالاغتراب أساسا هو الاغتراب الديني فهو كل أساس فلسفي أو اجتماعي أو نفسي ¹ « فمن خلال مفهومه يتبين أن الدين هو وعي الإنسان بذاته وعلاقته بنفسه، ولا يمكن تحديد الوجود الإنساني دون ربطه بوجوده الديني المكون له والمساهم في تنشئته.

« والإنسان يغترب عن نفسه حينما يعكس من خلال إيمانه الديني أفضل ما لديه من صفات على ما هو خارج ذاته، ولذلك فالدين في نظر فيورباخ هو نوع من اغتراب الإنسان عن نفسه ².

وقتل الاغتراب عنده يتم باسترجاع الإنسان لإنسانيته المسلوقة التي فقدتها والدين الصحيح هو الموقف الإنساني الذي يعيد للفرد ما سلب منه ولذلك « فالاغتراب الديني هو أسهل اغتراب وأسرع، وأكثره مباشرة فإذا ما حدث زلزال في كيان الإنسان وخلل في وجوده الشرعي ظهر ذلك في اللجوء إلى الله كسند وتعويض ³ « فأى انقلاب وتحول حاصل في صميم الذات مأواها الأول هو الله قبل أن تذهب إلى أي مساعد آخر من أنظمة ومؤسسات.

إضافة إلى فيورباخ تكلم كارل ماركس Marx (1818-1883) هو الآخر عن هذا المفهوم المتعمق والمتوسع في تاريخ الفكر الإنساني مشكلا أزمة الإنسان في هذا العصر متخطيا حدود المعقول خالقا هوة، وفجوة مؤثرة في صميم البشرية فجاء متأثرا بكتابات هيجل وطرح فيورباخ تاركا بصمة مؤثرة، فريدة من نوعها في الواقع الإنساني فرأى أن الاغتراب « هو صورة من صور عجز الإنسان أمام قوى الطبيعة والمجتمع ويصف العمل على أنه مغتربا حينما يكف على أن يعكس شخصية المرء، وهو لا يعتقد أنه حالة

¹ الهادي محمد بوطارن، الاغتراب في الشعر العربي الرومانسي، دار الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، 2010، ص40.

² علي العلوي، الذات المغترية والبحث عن الخلاص، ص 38 .

³ حسن حنفي، الاغتراب الديني عند فيورباخ، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج 10، ع1، 1979، ص44 .

أبدية ولكن نجمت عن تراكم بعض الأوضاع والظروف «¹ المسيطرة على النفس البشرية جراء القوى الفعالة المتحركة في الفرد فنظرة ماركس هي نظرة سلبية للنظم الاقتصادية والسياسية وخاصة الرأسمالية حيث أن « الرأسمالي يجد في اغترابه الذاتي قوته وخيره ويجد العامل في اغترابه الذاتي أنه لا حول له ولا قوة وأن وجوده لا إنساني «² في هذه المجتمعات الرأسمالية التي حولته من فرد عامل إلى منتج فالفرد هو المساهم الأول في غريته جراء السعي وراء إرضاء الحاجيات البشرية، وامتلاك الممتلكات الدنيوية ففقد إنسانيته وتحول إلى لعبة يحركها الزمن في تيارات متماوجة تركض وراء الدوافع الاجتماعية التي حطمت الفرد في ظل متطلبات الحضارة غير المتناهية كما أن « الإنسان المغترب ليس في الحقيقة إنساناً لأنه لا يعرف نفسه ولم يع تاريخه وإمكاناته والإنسان غير المغترب هو الإنسان الحقيقي، وهو سيد مصيره وما ينتجه وهو الذي يحقق لنفسه الحرية.»³

باعتباره محورا أساسيا في هذه الحياة يسعى لتحقيق حريته وتخليصها من كل الشوائب والموبقات التي خلفها هذا العالم، ومن كل القيود والعراقيل التي وقفت حاجزا أمام تفرد بذاته ذلك أن العامل المؤثر في البشرية جمعاء هو الحرية، والفرد الحقيقي هو المتحكم في أهوائه وتسيير مصيره والمسيطر على نفسيته يوجهها أينما حل وارتحل فكل ممتلكات الدنيا لا تساوي شيئا أمام التحرر فبتعديل النظم السياسية، والاقتصادية وحتى الثقافية والعمل على إصلاحها تتخلص النفس مما أصابها من خلل وفقدان التوازن والالتزان.

و من بين الذين كتبوا عن هذا المصطلح وكان لهم الفضل في إظهار مكنوناته وخباياه هم " أصحاب العقد الاجتماعي " وأهمهم :الفيلسوف جون جاك روسو Gean

¹ أحمد علي الفلاح، الاغتراب في الشعر العربي، ص22 .

² مراد وهبة، الاغتراب والوعي الكوني، دراسة في هيجل وماركس وفرويد، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج10، ع1، 1979، ص104.

³ الهادي محمد بوطارن، الاغتراب في الشعر العربي الرومنسي، ص39 .

Jacques Rousseau (1778-1972) الذي سبق في طرحه هيجل وهو « يستخدم المصطلحين الفرنسيين المقابلين لمصطلح Alienate الذي استخدمه " جروتيوس " والذي يعني جعل الشيء ملكا لشخص آخر أو الأخذ أو النقل وكذلك مصطلح divest الإنجليزي الذي استخدمه "هوبز" Hobbes بمعنى التجريد أو التخلي ويبدو أن كلا المصطلحين مرتبط في ذهنه بالآخر بصورة وثيقة ،وهو ينقل في استخدامه لهما من أحدهما للآخر دونما تقييد فيتحدث على سبيل المثال عن تغريب حرية المرء ، والتخلي عن حريته ¹ « كما تحدث روسو عن الاغتراب ليشمل عنده معنيين: الأول إيجابي والثاني سلبي فورد في كتابه "العقد الاجتماعي" ليعبر به عن « تلك العملية التي من خلالها يقدم كل منا ذاته للجماعة لتكون تحت توجيه الإدارة العامة، وكي تصبح جزءا لا يتجزأ من الكل وبهذا يكون الاغتراب عملا إيجابيا يضحي فيه الإنسان بذاته من أجل هدف كريم هو صالح الجماعة التي ينتمي إليها. ² « أما في كتاباته النقدية للمجتمع الحديث يشير إلى فكرة الاغتراب ولكن في معناها السلبي حيث يرى « أن الحضارة قد سلبت الإنسان ذاته ،وجعلته عبدا للمؤسسات الاجتماعية التي أنشأها وأصبح تابعا لها. ³ « فإذا ضحى الإنسان بذاته مدح وشكر على صنيعه هذا المتمثل في خدمة المجتمع أما إذا انساق الفرد وراء مؤسساته، وأصبح خاضعا لها أتهم بالسلب فيحدث التصدع والتمزق بين الفرد ومجتمعه.

وأشار الفيلسوف شيلر Shiller (1759-1805) لهذه الفكرة فهو « لم يستخدم مصطلح الاغتراب ذاته إلا أنه يتحدث عن البشر الذين يعيشون تجربة الاغتراب تحت ظروف

¹ ريتشارد شاخت، الاغتراب، تر: كامل يوسف حسين، ص72- 73.

² حسن حماد، الإنسان المغترب عند إريك فروم، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، مصر، د ط ،2005، ص 73 .

³ علي العلوي، الذات المغترية والبحث عن الخلاص، ص35 .

معينة ويقول عن الروح التأملية التي تكافح من أجل مقتنيات لا تقنى في عالم الأفكار إنها أصبحت مغتربة في العالم المادي «¹ .

فالفرد من أجل تحقيق المنفعة المادية ينفصل عن ذاته وبتيه في جماليات الحضارة بحثا عن ما يلبي غرائزه داخل هذا المجتمع، وبدون أن ينتبه يجد نفسه يعاني « الغربية والانفصال في ظل ظروف لا إنسانية تلك الظروف التي تضخمت بفعل الثورة الصناعية وأصبحت تمثل تهديدا جسيما للأحوال الإنسانية «² تنغص على الفرد حياته فيتغلغل في داخله الشعور بالتذمر والتدمير.

ووجد مصطلح الاغتراب أيضا عند أصحاب الفلسفة الوجودية وبالتحديد عند رائدها الأول " كيركيغارد" رغم أنه لم يستخدم مفهوم الاغتراب إلا أنه أشار إليه في كتاباته فرصد قضية اغتراب الإنسان الحديث « من خلال نقده لضياع الفرد في داخل الحشد وفقدانه لتفرده وحرية «³ فالفرد يضحي بنفسه في مقابل إرضاء الجماعة فيتخلى ويسلم حريته ويضعها تحت تصرف الآخرين ومن هنا يستنتج "كيركيغارد" « أن الإنسان الحديث عندما يضحي بحريته في مقابل الطمأنينة الزائفة للجمهور فإنه يفقد ذاته كإنسان ويصبح ذلك الفرد الذي لم يعد ينتمي إلى الله، أو إلى ذاته، أو إلى فئة، أو علمه إنه يعي فقط إنه ينتمي إلى تجريد يخضع له فكريا مثلما يخضع العبد للأرض التي يعمل فيها «⁴ وكأنه خاضع للعبودية المستبددة التي حولته إلى شيء من أشياء وموضوع من موضوعات.

« وهنا يجد الإنسان نفسه مدفوعا إلى الأخذ بأحكام الناس والتمسك بالآراء العامة الشائعة فتصبح حياته صورة من صور المجموع، ويستحيل وجوده الذاتي إلى وجود

¹ علي العلوي، الذات المغتربة والبحث عن الخلاص، ص35.

² حسن حماد، الإنسان المغترب عند إريك فروم، ص75.

³ فيصل عباس، الاغتراب " الإنسان المعاصر وشقاء الوعي" ص258.

⁴ حسن حماد، الإنسان المغترب عند إريك فروم، ص 100 .

مبهم «¹ أفقده سمته المرموقة كإنسان فضاعت حريته واستقلاليته، وأصبح يفكر بتفكير الجماعة ويسير بسيرهم ملغي بذلك شخصيته، ولم يعد يحسب لنفسه أي حساب بل صار همه الوحيد هو إرضاء الجموع والخضوع وهذا ما تجسد عند "سارتر" فمفهوم الاغتراب عنده « هو انعدام الحرية الإنسانية وناتج عن ظروف الحياة المعاشة في هذا العالم »² التي تسببت في اغترابنا والذي انعكس لدرجة التشدد والتسلط السائد في المجتمع. وأضاف "سارتر" قائلاً أن « وجود الآخرين هو الذي يسلبنا حريتنا الكاملة »³ بخضوع الفرد للقوانين والمبادئ التي فرضتها البيئة المحيطة به فصار حركية آلية تخلو من الروح الإنسانية.

فقد اشترك جل المفكرين والباحثين المهتمين بظاهرة الاغتراب بالوعي بمشكلة الإنسان المعاصر متفقين على مبدأ واحد هو تحرير الفرد من تسلط ،و تأثير القوى الخارجية سواء أكانت اجتماعية أم اقتصادية باسترداده لإنسانيته ،وحريته المسلوبة منه فكان لهذه القوى الأثر الفعال في انتشار اللاجدوى واليأس، والإحباط وغدت مسيطرة على دواعي الأمل والتفاؤل مجردة بذلك الإنسان من حقوقه البسيطة في هذه الحياة فصار مذلولاً وضعيفاً مجرد عبد خاضع للتبعي، فهؤلاء المفكرون ثاروا على هذه الأنظمة الجبرية العنيفة والتي انعكست في كل المظاهر السلبية التي حطمت الإنسان كإنسان.

¹ فيصل عباس، الاغتراب " الإنسان المعاصر وشقاء الوعي"، ص 262.

² أحمد علي الفلاح، الاغتراب في الشعر العربي ، ص22.

³ فيصل عباس، الاغتراب " الإنسان المعاصر وشقاء الوعي"، ص 265.

3/ أبعاد الاغتراب ومظاهره :

على الرغم من أنه لم يتم تحديد مصطلح الاغتراب تحديداً موحداً إلا أن جل الباحثين والدارسين تمكنوا من رصد مظاهره وأبعاده المتميزة، والمنفردة والمهتمة بالمصير الإنساني والتي توصلوا إليها من خلال التحليل والاستنتاج، فتجسدت تلك المظاهر على أرض الواقع وصار يتكئ عليها لتدل على الأزمات التي تعترى الفكر المعاصر معتمدين بذلك على مقياس " ملفين سيمان " فتمثلت في خمسة مظاهر نذكرها كالاتي:

-**العجز:** Powerlessness « هو شعور الفرد بأنه لا حول له ولا قوة ولا يستطيع التأثير في المواقف الاجتماعية التي يواجهها، ويعجز عن السيطرة على أفعاله ولا يستطيع أن يقرر مصيره ¹ » متحكمة فيه ذوات وقوى خارجة عن إرادته بل فوق طاقته أعاقته حركيته وفعاليته الذاتية والاجتماعية فأضحى لا يتحكم في زمام الأمور، ولا يصدر أي قرارات أو أحكام راضيا بالانكسار والهزيمة عاجزا عن تقرير وتوجيه مسار حياته وكأن العجز بذلك « الحالة التي يصبح فيها الأفراد في ظل سياق مجتمعي محدد يتوقعون مقدما أنهم لا يستطيعون أو لا يملكون تقرير أو تحقيق ما يتطلعون إليه (...) الأمر الذي يولد خبرة الشعور بالعجز والإحباط، وخيبة الأمل في إمكانية التأثير في متغيرات هذا السياق والقوى المسيطرة عليه ² » وكلما أحس الفرد بالعجز كلما زاد شعوره بعدم مواكبة الأحداث ومجرياتهما فتتلاشى رؤيته العقلية، ويصل إلى طريق مسدود لا هو متوافق مع نفسه ولا مع مجتمعه يعاني التهميش والوحدة التي جرته إلى فقدان الطموح الذي كان يتطلع إليه ويأمل فيه.

¹ يحيى الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، ص18.

² عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، 2003، ص36.

-اللامعنى : Meaninglessness

يشير هذا المفهوم « إلى شعور الفرد بأنه لا يمتلك مرشداً أو موجهاً للسلوك والاعتقاد (...) واللامعنى توجد حينما يكون الفرد غير واضح بالنسبة لما يجب أن يعتقد فيه وحينما تكون المستويات الدنيا المطلوبة من الوضوح في اتخاذ القرارات غير المتوفرة. »¹

فالفرد يغترب حينما لا تكون الصورة واضحة أمامه من أنظمة الكون والمؤسسات والعلاقات التي يسير بها هذا العالم سيرالاً منطقياً، ولا معقولاً فلا يفهم الإنسان لماذا وجد وما الهدف من هذه الحياة « أو شعوره بعدم وجود مغزى حقيقي للأشياء التي تحدث أمامه أو للأعمال والممارسات التي يقوم بها ولا يكون راضياً عنها أو للقناعات التي تحدث أمامه من طرف مجتمعه، والتي لا يرتضيها مثل التحيز العرقي واللغوي. »² فلم تتطابق تلك التصورات مع معتقدات هذا الفرد فتغرب وانفصل عن هذا الجموع .

-اللامعيارية : Normlessness

استلهم العلماء هذا المعنى من جهود الفيلسوف "دوركاييم" Durkheim حول موضوع الأنومي أو الأنوميا Anomie وهي « حالة تصيب المجتمع ، أي حالة انهيار المعايير وهي كما يقول "سيمان" Seeman الحالة التي يتوقع فيها الفرد بدرجة كبيرة أن أشكال السلوك التي أصبحت مرفوضة اجتماعياً غدت مقبولة اتجاه أية أهداف محددة أي أن الأشياء لم يعد لها أي ضوابط معيارية. »³

فافتقاد المرء للمرشد والموجه يجعل السلوك الإنساني عرضة للتشتت والتأزم وعدم التوافق والتكامل فيتخلخل بذلك إطار التفاعل الاجتماعي، ويقوي من حدة التنافر والتباعد بين البشر.

¹ عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص 37 .

² محمد مشعالة، الاغتراب عند الإمام علي من خلال نهج البلاغة، أطروحة دكتوراه العلوم في الأدب العربي القديم، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2010، ص 64 .

³ يحيى الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، ص 18.

« والمجتمع الذي يصل إلى تلك المرحلة يصبح مفتقرا إلى المعايير الاجتماعية المطلوبة لضبط سلوك الأفراد، وأن معايير التي كانت تتمتع باحترام أعضائه لم تعد تستأثر بذلك الاحترام »¹.

مما يجعل الفرد لا يتحكم الأحكام المطلق في سلوكه وتصرفاته ويفقد بذلك الانسجام والاتساق بين قيمه، وقيم الأشخاص المحيطين به فتتزلزل تلك المعايير وتدخل في اضطرابات أفرزتها المقومات المجتمعية غير المتكافئة فكريا، وحضاريا ساهمت في انطواء الفرد لا محالة.

-العزلة الاجتماعية: Socialisation

ويقصد بها « شعور الفرد بالوحدة والفراغ النفسي والافتقاد إلى الأمن والعلاقات الاجتماعية الحميمة والبعد عن الآخرين، وإن وجد بينهم كما قد يصاحب العزلة الشعور بالرفض الاجتماعي والانعزال عن الأهداف الثقافية للمجتمع »². والإنسان المنعزل عن الجماعة لا علاقة له بما يحدث من حوله من تطورات لا يشارك في الآراء والاقتراحات، يصاحبه شعور بعدم التأقلم والتواءم مع الواقع الذي أدخله في دوامة بسبب سلبياته التي جعلت الفرد يتغرب فتتسع الهوة بينه وبين ذويه . وهذا يؤكد أن « الأشخاص الذين يحيون حياة عزلة لا يرون قيمة كبيرة لكثير من الأهداف والمفاهيم التي يثمنها أفراد المجتمع. »³

نتيجة للتناقضات الاجتماعية والتحولات الحضارية والثقافية التي لم يعد الفرد فيها قادراً على اللحاق بالركب وبكل ما هو جديد، وحديث فلم يعد يعطي أدنى قيمة لشؤون الحياة ومتطلباتها وقلت أهدافه في هذا الكون .

¹ قيس النوري، الاغتراب اصطلاحا ومفهوما وواقعا، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج10، ع1، 1979، ص 16.

² عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص39.

³ قيس النوري، الاغتراب اصطلاحا ومفهوما وواقعا، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج10، ع1، 1979، ص40.

-الاغتراب عن النفس : Sefestrahgement عرف "سيمان" الاغتراب عن

الذات» بأنه عدم قدرة الفرد على التواصل مع نفسه ،و شعوره بالانفصال عما يرغب في أن يكون عليه حيث تسير حياة الفرد بلا هدف ويحي لكونه مستجيبا لما تقدم له الحياة دون تحقيق ما يريد من أهداف، وعدم القدرة على إيجاد الأنشطة المكافئة ذاتيا.¹ «

فانفصال الفرد عن ذاته من أصعب الإحساسات التي تمر بها النفس البشرية إذ يرى نفسه كأنها غريبة عنه تسعى لتحقيق السعادة الحياتية، والوصول إلى أفضل المراتب فيصبح الفرد» نافرا أو مغتربا عن ذاته² « ويفشل في التكيف، والتواصل مع نفسه ويختلط عليه الأمر فيما يطمح إليه وما يرغب فيه فيستسلم لنفسه، ويطلق العنان لتصرفاته وأفعاله وهنا تبرز دواعي الألم والبؤس والشكوى فيتمخض لدى الفرد الشعور القوي بالخوف من المستقبل» بافتقاد المغزى الذاتي والجوهري للعمل الذي يؤديه الإنسان³ «

¹ عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص 40.

² جديدي زليخة، الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة وادي سوف، الجزائر، ع8 جوان، 2012، ص353.

³ قيس النوري، الاغتراب، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج10، ع1، 1979، ص19.

4/أنواع الاغتراب:

عكست الظروف الحياتية ملامحها في جوهر الإنسان مصورة التداخل والتعارض الحاصل بين الذات والآخر من علاقة الإنسان بالإنسان ثم علاقته بالعالم وبالكون، وبكل مايحيط به من إفرازات وسلوكيات سلطوية مؤسساتية إضافة إلى أن العصر الحديث في وقتنا الحالي يعاني الاغتراب بكل معنى الكلمة ،هذا ما دعانا للبحث في أنواعه بغية استيضاح وتبسيط الضوء على السلوكات التي يقع فيها المغترب إثر ولوجه في عالم الاغتراب الذي تتنوع بتنوع أنواعه و نذكر منها:

-الاغتراب الاجتماعي :

نعثر عليه في « شعور الفرد بعدم التفاعل بين ذاته وذوات الآخرين والبرود الاجتماعي أي ضعف الروابط مع الآخرين، وقلة أو ضعف الإحساس بالمودة والألفة الاجتماعية معهم وينتج عن ذلك الرفض الاجتماعي »¹ الذي أوقع بالفرد في الانطواء والانعزال بل فقدان العلاقات الحميمة وضعف القدرة على التواصل مع الآخرين.

« وأمام صراع الإنسان مع واقعه الاجتماعي وفي ظل غياب الحاجات المادية الأساسية للإنسان يتعمق الشعور بالاغتراب وتزداد محنة الذات »² فيحاول الهروب والفرار ليصنع الجو الخاص به والمتأقلم معه من خلال القضاء على معايير هذا المجتمع ومحاولة استبدالها و تغييرها « فيقوم المغترب بالخروج الكلي عن نوااميس السائد الاجتماعي بل يقوم بمناهضة هذه القوانين دون الاكتفاء بمغادرتها ،ويقوم بمحاولة إسقاطها »³ وفق المنظومة التي تساعده وتوفر له الاستقرار والانسجام ليحقق لنفسه الآمال التي طال بحثه عنها حتى وإن تحقق بعضها أو جزء منها، من خلال التصدي للواقع والتمرد والثورة عليه فكان لازما على الفرد« أن يعيد النظر من جديد في هذا المجتمع الإنساني وفي قيم العالم

¹ جديدي زليخة، الاغتراب،مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعة وادي سوف،الجزائر،ع8جوان،2012ص349.

² أحمد علي الفلاحي، الاغتراب في الشعر العربي، ص 52 .

³ سليمان حسين، مضمرات النص والخطاب ،دراسة في عالم جبرا إبراهيم جبرا الروائي، من منشورات إتحاد الكتاب العربي، دمشق، سوريا، دط،1999، ص 199 .

الذي نعيشه»¹، كي تتجد عزيمته، وينظر للأشياء بمنظور إيجابي ويتخلص من الاغتراب الذي أصبح «نوعاً من الوباء الاجتماعي الذي يهدد المجتمع الحديث»² أضف إلى ذلك فقدان التوافق بين الفرد والمجتمع، إذ يمثلان طرفي نزاع وخصام إزاء رفض الفرد لقيود المجتمع وتشبث هذا الأخير بقيمه وعاداته وتقاليده التي وقفت عائناً أمام الإنسان، وحصرته في زاوية لا مجال للهروب منها بشكل أو بآخر.

-الاغتراب الاقتصادي:

تمثل في «ضعف العلاقات الاجتماعية بين العاملين والإدارة في إحدى المؤسسات أو المنظمات الصناعية وبين العاملين وبعضهم البعض (...) وهو ما يعكس حالة من الاغتراب»³.

فإذا توترت العلاقة بين الفرد والأفراد المحيطين به يفقد الراحة والسلام والطمأنينة ويسكنه هاجس الوحدة والغربة، كون العلاقات الاجتماعية لها التأثير الفعال في صحة الإنسان وأي خلل أو اضطراب يحدث في العمل يؤثر سلباً على الفرد فينفض عن جماعة العمل وإذا انفصل الإنسان عن «عمله اليومي فهو بالضرورة يكون قد اغترب أيضاً عن نفسه وعن إمكانياته الخلاقة والأواصر الاجتماعية التي تتحد من خلالها إنسانيته»⁴.

وهذا ما حاول "كارل ماركس" أن يدرجه من خلال حديثه عن اغتراب الإنسان العامل وسط عمله وربطه بالإنتاج العملي «فتصبح منتجات العمل موجودات مغتربة ومستقلة عن منتجها وتسيطر عليه بدلاً من أن يسيطر عليها، وبذلك يوجد العامل من أجل سير الإنتاج وليس العكس»⁵ فيتمزق الإنسان من داخله ويصبح شيء من الأشياء

¹ محمد زكي العشماوي، دراسات في النقد الأدبي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر، دط، 2005، ص 70.

² أحمد أبو زيد، الاغتراب، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج 10، ع 1، 1979، ص 5.

³ عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص 86.

⁴ قيس النوري، الاغتراب اصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج 10، ع 1، 1979، ص 21.

⁵ فيصل عباس، الاغتراب، ص 203.

فاقدا بذلك إنسانيته» ونتلمس هنا نوعا من القسرية أو الحتمية فيها يخص اغتراب العامل عن موضوع عمله لأن زيادة الإنتاج أمر طبيعي، وقضية الالتفات إلى قيم المنتج وجودته أهم وأعظم جدوى من العمل نفسه، ومن قيمة المنتج بحد ذاته الأمر الذي همش العامل وأقحمه في عالم الماديات ¹ « الذي يحتوي على كل القيم والمظاهر المخادعة كما أن الفرد في » العمل يكتشف ذاته وإمكانياته وتربطه مع الآخرين لإنجاز العمل ... لكنه في العمل أيضا ينفصل عن ناتج عمله، ويصبح هذا الناتج غريبا عن صاحبه وأحيانا ما يقف ضده ² »

فيغترب العمل عن صاحبه كون الاغتراب تجسيدا لمعاني الانفصال والفقدان والاستيلا ب » وذلك الإحساس بالانفصال يولد لديه شعورا بالعجز والملل والخوف من المستقبل ³ »

الذي بات يهدد علاقاته مع الناس وقمع الفاعلية معهم، فيضمحل التواصل بينهم بسبب هذه الماديات التي طغت على الوجود الإنساني طغيانا كلياً إن لم نقل أنها أضحت آلية فعالة في جميع الأصعدة والمناحي الكونية.

- الاغتراب السياسي:

نال الاغتراب السياسي حيزا كبيرا في أواسط المجتمعات المعاصرة خاصة العربية منها فتتكشف ملامحه من خلال النظام السياسي السائد في الدولة بما فيه من تناقضات وصراعات انعكست في حياة الفرد كونه عنصرا فاعلا في المجتمع، فتجسد ذلك في الحرمان من المشاركة السياسية، وإبداء القرارات المتعلقة بالقانون الدولي « كما يفتقد إلى المعايير والقواعد المنظمة للسلوك السياسي، بمعنى آخر يشعر المرء بأنه ليس

¹ سماح بن خروف، الاغتراب في رواية كراف الخطايا، لعبد الله عيسى لحيلج، مذكر ماجستير، قسم اللغة العربية والأدب العربي، كلية الآداب واللغات الأجنبية، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2012، ص 60.

² مجاهد عبد المنعم مجاهد، جدل الجمال والاعتراب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، 1997، ص 82.

³ جديدي زليخة، الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة وادي سوف، الجزائر، ع8، جوان 2012، ص 349.

له دور في العملية السياسية وأن صانعي القرارات لا يضعون له اعتبار ولا يعملون له حساباً¹ « هذا يفقده الثقة في نفسه ويشعره بعدم الارتياح والتهميش ويتزايد لديه الشعور بالرفض لآرائه وأنها ليست مهمة مما يجعله لا يشارك في الكثير من القضايا السياسية التي تسيرها الحكومة تسييراً في الاتجاه المعاكس لحاجيات الأفراد ومتطلباتهم مما يجعلها تخرج عن حدود المعقول إلى اللامعقول، فتصبح العلاقة بين الفرد والدولة علاقة سطحية خالية من التفاعل الحقيقي، وهذا ما يؤكده "محمود رجب" حيث يرى « أن المجتمع الحديث دعم انفصال الإنسان عن الطبيعة وعن ذاته من خلال اعتماده على الملكية الخاصة التي أدت إلى عدم المساواة² » كما تحدث هيجل عن هذا النوع من الاغتراب رابطاً إياه بالاغتراب الديني³ « فالفرد حين يغترب سياسياً يلجأ إلى الاحتماء في طبيعة أبدية تجاوز ذاته³ ».

فساد النظام واعتماده على العنصرية يؤدي إلى الفوضى والاضطراب فيغدو الفرد لا يشارك حتى في الانتخابات لإيمانه بأن صوته غير معترف به، ولكي يتحقق الأمن والاستقرار في المجتمع لابد من إتباع نظام يخدم الكل كوحدة متكاملة، ولا يعود بالسلب على الأفراد لذا لابد أن يكون القانون قانون مساواة لا عنف وحكر على أقلية من الشعب دون أخرى.

-الاغتراب النفسي:

يعد هذا النوع من أقسى أنواع الاغتراب وأصعبه على النفس الإنسانية بحكم كونه يساهم في انهيار الشخصية المتكاملة في الإنسان، ويمكن وصفه في الحالات التي تتعرض فيها وحدة الشخصية للانحطاط أو للضعف والانهيار، مما يجعل الشخصية تفقد

¹ عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص 98 .

² جديدي زليخة، الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة وادي سوف، الجزائر، ع8، جوان 2012، ص 350.

³ مراد وهبة، الاغتراب والوعي الكوني، دراسة في هيجل وماركس وفرويد، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج10، ع1، 1979، ص 100 .

كل مقومات الإحساس بالوجود والبقاء والديمومة في هذه الحياة العاكسة عنده لحالات الخوف والقلق وكل مظاهر البؤس واليأس¹ بانسلاخ الذات عن حقيقتها ، وزعزعة كيانه فلا تنعم بالحرية واللذة المعيشية ذلك « أن المتأمل في النفس البشرية يقف عاجزاً أمام هذا المحيط الزاخر بالتقلبات المزاجية فهو بين مد وجزر، بين رضا وسخط، بين حزن وفرح بين ألم وأمل بين شك وريبة، من جهة وبين طلب للهدوء والسكينة من جهة أخرى »² فهذه المظاهر موجودة في كل شخص وجد على هذا الكون لا محالة إلا أنها تختلف درجاتها وشدها من شخص لآخر.

وتوقع الفرد في الاغتراب عن ذاته بتمزقها وفقدانها للتوازن مع النفس كما أنها تدخل في التخطيط المادي والمعنوي فيعيش الإنسان ذاته كغريب، وهذا ما أشار إليه "فروم" حين ميز بين الذات الأصلية والذات الزائفة على أساس أن « الذات الأصلية ترادف مفهوم الذات غير المغترية التي حققت وجودها الإنساني المتكامل أما الذات الزائفة فهي الذات التي اغتربت عن نفسها وعن وجودها الأصيل »³ وانفصلت عن الجماعة وأيضاً جفاء العلاقة مع الآخرين « وبما أن الاغتراب النفسي يعد لونا من ألوان المعاناة الداخلية للنفس الإنسانية فقد أدى الإحساس بالوحشة إلى نمو الإحساس بالاغتراب النفسي »⁴ الذي خلف أمراضاً نفسية وعقداً ذاتية، أدت بالذات إلى الاضطراب .

والتدخل « كاضطراب الشخصية الفصامية »⁵ المعروفة بالعجز في التأقلم وإقامة العلاقات الاجتماعية وخير مثال على ذلك الاغتراب الذي عانى منه الفيلسوف ديكارت

¹ ينظر، عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص 81 .

² سنوساوي عمارية، الاغتراب في الشعر الصوفي الجزائري، مذكرة ماجستير ، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2013، ص 40 .

³ حسن حماد، الإنسان المغترب عند إريك فروم، ص 121 .

⁴ أحمد علي الفلاح، الاغتراب في الشعر العربي، ص 122 .

⁵ يحيى الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، ص 20 .

حين « عاش بالفعل معظم حياته في غربة عن وطنه، وفي عزلة بالغ فيها إلى حد إخفاء مقر إقامته عن معارفه »¹.

وبهذا فالاغتراب لا يخرج عن كونه ظاهرة تعاني منها النفس البشرية « وأيا كان مفهوم الاغتراب في النفس فهو ناتج عن انعطاف قلق يعاني منه المغترب تجاه كل مألوف أو اتجاه الأزمات فيصاب بالسأم والاضطراب والتوتر ويقل إنتاجه. »²

ومن هذا المنطلق يظل الاغتراب أزمة يعاني منها الإنسان تساهم في غريته وضياعه وتشريده، وتشعره بالانفصال عن الآخرين وبالعجز إزاء الظروف المحيطة به.

¹ حبيب الشاروني، الاغتراب في الذات، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج10، ع1، 1979، ص82.

² حسين جمعة، الاغتراب في حياة المعري وأدبه، مجلة جامعة دمشق، مج27، ع1+2، 2011، ص23.

الفصل الثاني:

تجليات الاغتراب في رواية هوامش الرحلة الأخيرة

" محمد مفلح "

1/ دلالات الاغتراب في الرواية

1-1 النفسي

1-2 الاجتماعي

1-3 السياسي

2/ علاقة الاغتراب بالمكان والزمان

1-2 المكان " الشاحنة، البيت، المقهى، المدينة، القرية "

2-2 الزمان "الاسترجاع، الاستباق"

1/ دلالات الاغتراب في الرواية:

لقد عكست ظاهرة الاغتراب أبعادها في كل مناحي الوجود الاجتماعي والثقافي لتعبر عن تلك الحالات التي يمكن أن نقول عنها مرضية للآثار التي خلفتها من حزن وأسى وجروح عميقة بعمق أهمية هذه الظاهرة التي نسجت، وحاكت خيوطها في الأعمال الأدبية والروائية.

حيث يحاول الأديب المبدع أن يترجم مختلف الإحساسات والمشاعر التي تصاحبه وتنقل رؤيته في ظل التناقضات والصراعات، التي تدور حوله الزاخرة بالقلق، والشك والعذاب المسيطر على الإنسان، وجميع تلك التحولات رسمت ملامحها ونحتتها بألوان وخطوط عريضة في التجربة الروائية، وبذلك أضحت الاغتراب موجود في معظم الأعمال الأدبية و الفنية منذ العصور القديمة إلى حد اليوم.

« فقد صورت "الإلياذة و الأوديسة" ل"هوميروس" اغتراب الإنسان وضعفه أمام الطبيعة وقواها، وجسد "هملت" شكسبير الإنسان المغترب عن كل ما حوله، و"الملك لير" المغترب عن العالم الخارجي، وفي الرواية نجد الشخصيات المغتربة عند "بلزاك" في الكوميديا البشرية ثم بعد ذلك في روايات ديكنز " أوليفر تويست عناقيد الغضب " وفي البؤساء عند "هوجو".¹ »

وغيرها من الروايات الكثيرة التي عبرت عن صرخة الواقع المر والقاسي ومن بينها رواية هومش الرحلة الأخيرة " لمحمد مفلح" هذا الكاتب الذي قدم لنا صورة واقعية عن الاغتراب الذي يعيشه الإنسان الجزائري، و صورته لنا في صورة روائية جمالية وفنية جسد من خلالها أنواع الاغترابات التي تعاني منها الشخصية.

ودوافعها و أسبابها التي نحن بصدد دراستها في هذه الرواية، ومحاولة رصد واستجلاء مظاهرها الزمانية و المكانية، و الكشف عنها بالتحليل و الدراسة.

¹ مريم جبر فريحات، الحس الاغترابي في أعمال روائية لغسان كنفاني، مجلة جامعة دمشق، مج26، ع3+4، 2010، ص191.

وأولى هذه الأنواع هو الاغتراب النفسي، الذي سيطر على الرواية وأثر في الشخصية الرئيسية بشكل لافت للانتباه .

1.1 الاغتراب النفسي:

تبدأ الرواية بعلامات وإشارات حاملة لمعاني الاغتراب، والقلق والوحدة والقهر تجسدت في الشخصية الرئيسية والمحورية التي تدور حولها الأحداث في رواية هوامش الرحلة الأخيرة، وهي شخصية البطل معمر المليئة بالمتاعب والطافحة بالأحزان والترسبات التي بقيت عالقة في نفسيته المهمومة إزاء الظروف التي فرضت عليه العمل بالجنوب الجزائري.

وساهمت في غريته ومعاناته النفسية التي تولد عنها إحساسه بفقدان الهدف و المغزى من الحياة متحسرا على أيامه، وشبابه الضائع أمام عينيهِ، مضى الوقت بسرعة بدون أن يحقق طموحاته وآماله حيث يقول: « أصبحت حياتي بسيطة لا معنى لها أعيشها بلا مبالاة تنساب الأيام الكالحة أمامي، وأنا أتفرج على تفاهتها . مضت فترة الشباب التي ملأتها آمال جميلة فكرت مرارا في الحياة التي أصبحت راكدة لا طعم لها. »¹

فالبطل معمر ضاعت أحلامه الوردية، وذبحت أمام عينيهِ بدون سابق إنذار امتصت رحيقه وحيويته فتغيرت رؤاه الجميلة للحياة، وأبحر في دوامة من الظلمات والإحباطات.

ولعل ما يكشف عن وجود أزمة تعتري نفسية معمر، وتسري في عروقه وتتغص عليه حياته وتنمي إحساسه يوم بعد يوم بالقلق، والرغبة هو الخوف من الموت الذي اجتاحه وأصبح كالصرخة المثقلة لكاهله لقوله: « خوفي من الموت في حادث مرور يزداد كل يوم في أثناء شبابي كنت أتحدى الموت الأحمر، وأبصق عليه، وأسبه وأركله

¹ محمد مفلح، هوامش الرحلة الأخيرة، منشورات دار الكتاب، دط، 2010، ص5.

وهو مني يتهرب، ولأن و لما عرف الموت نقطة ضعفي أصبح يلوح لي في كل لحظة، كما أصبح يغذي نفسي بالوساوس المرعبة»¹

ومن مظاهر معاناته نفوره من قيادة الشاحنة التي يعمل بها متقللاً بين مدن الجنوب هذا وضعه في عزلة تامة عن الناس غارقاً في أحلامه، وأوهامه حيث قال : « وأنا أمام مفود شاحنتي الضخمة الرمادية في عزلة تامة عن العالم، وأيامي كما رويتها لأصدقائي أصبحت محدودة السرعة، أجمل لحظاتها من طينة أحلامي وأوهامي» .²

هذا جسد إحساسه بالاغتراب فحاول أن يسيطر على نفسه ويكبت عواطفه ومشاعره حتى لا يصاب بنوبة عصبية تدمره، وذلك بالنظر في أحوال الناس ليتخلص من موجات صراعه النفسي الداخلي حيث يقول: « تعلمت التفكير الذي لا ينقطع في أمور الناس وأحوالهم كما تعودت فيها على الصبر وكبت عواطفِي، والضغط على أعصابي حتى لا أنفجر في الطريق بعيداً عن عائلتي الصغيرة وعن مدينة غليزان»³

لقد تجلت انعكاسات الاغتراب في كينونة بطل الرواية معمر مخلفة عنده الشوق والحنين المتدفق عن مسامات عروقه، ليتترك في قلبه غصة من الأنين لبعده عن زوجته وأولاده وأيامه الضائعة دونهم حيث يقول: « استبد بي الحنين إلى رؤية زوجتي وأولادي ندمت على الأيام التي قضيتها بعيداً عنهم.»⁴

كما تكاثرت الأسئلة والاستفهامات في ذهنه حول مصيره وعمله في الجنوب هل يذهب إلى بيته أم يمكث هناك حتى تستقر نفسه وتعود إليه الطمأنينة إذ نجده متخوفاً من المستقبل ومن الحاضر نفسه فيقول : « تضايقت من نفسي المتخوفة من الأيام القادمة هل أذهب إلى بيتي أو أبقى في القاعدة السكنية حتى يعود إلي بعض الهدوء.»⁵

¹ الرواية ، ص6.

² الرواية ، ص5.

³ الرواية ، ص6.

⁴ الرواية ، ص89.

⁵ الرواية ، ص81.

ومن ملامح الاغتراب أن يعاني البطل من صور الاضطراب النفسي الداخلي إذ انهار ولم يعد قادراً على المكوث هناك في الصحراء فقد أرهاقه العمل، وأتعبته الطرقات التي يجدها بشاحنته وعزم على العودة إلى بيته مهما كانت الظروف إذ قال :

« لن أبقى هنا... لن أبقى معكم... لن أموت في الصحراء وقفزت واقفا ثم تابعت قائلاً وأنا أتحرك في مكاني لن يمنعني أي شخص من زيارة بيتي »¹

هذا المقطع الحواري الذي دار بينه وبين زملائه في العمل عبر عن استيائه للوضع والحال التي وصل إليها باغترابه عن مدينته.

فعبر معمر عن غربته وتمزقه بالاستئجاد بتقنية المونولوج المباشر والغير مباشر ليصرخ بأنيته وعذابه وانسحاقه راسماً لوحة فنية ألوانها التعاسة، وملامحها اليأس والبؤس الممزوجان بالمرارة المشتعلة بالقلب الجريح.

حيث أن المونولوج هو ذلك « التكنيك المستخدم في القصص بغية تقديم المحتوى النفسي للشخصية والعمليات النفسية لديها دون التكلم بذلك على نحو جزئي أو كلي »²

أي أنه يسمح للنفس بالبوح عما يختلجها من لواعج وأسرار تفصح عنها أوتارها الصوتية المخنوقة ببحر التأزم والتشتت، وهذا مانجده عند معمر حيث لجأ إلى الحوار مع نفسه ليكشف عن أفكاره المكبوتة، وشخصيته المستورة وليجيب عن الأسئلة العالقة في ذهنه للأوضاع التي تدور حوله والتي لا يستطيع إعلانها ويكتفي بحصرها في ذاته ومنها « ساجية فتاة غريبة الأطوار تحب ركوب الشاحنات لتبتعد عن المدينة الصاخبة بضعة أيام ثم تعود إليها (....) أصيبت بصدمة منذ مقتل والدها »³

¹ الرواية، ص 76.

² مها حسن القسراوي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2004، ص 244.

³ الرواية، ص 93.

حركت رغباته وأهواءه، وتركت في نفسه أثرا عميقا إلا أنه لم يكن قادرا على البوح بما يجول بخاطره، وهذا يعبر عن الانقسام الموجود في ذاته التي تعيش في موجة من الصراع النفسي الداخلي.

ومن مظاهر الاغتراب أن يعيش معمر حالات من الصراع النفسي الداخلي من خلال استسلامه للموجة العاطفية التي اجتاحتها واستولت على كيانه، فظل مشغول البال حول مصير تلك الفتاة يطرح الأسئلة والاستفسارات لنفسه تارة وتارة أخرى يجيب عنها .
 حيرته ومزقته فقال في نفسه « أترغبين في الدفء والرقص حتى الجنون مع رجل مرهق مثلي ؟ انتظري الطريق طويل ،ومازال للمتعة متسع من الوقت سأمزق جسدك الطري »¹

فقد أيقظت مشاعره الجياشة المكبوتة وعزم على الظفر بتلك الفتاة والاستمتاع معها.
 حيث قال « التفت إلى ساجية تأملتها جيدا رغبت في الاقتراب منها ولثم شعرها الفوضوي أحببت أن تسري رائحته المخدرة في دمائي ».²

فعبر معمر عن معاناته بكبحه لمشاعره ليؤكد عزلته ووحدته واغترابه النفسي العاطفي إذ أن غياب زوجته يمينه أثر عليه وساهم في تحطيمه، وانكساره فبات يبحث عن خيط حتى ولو كان رفيعا ليتشبث به ويعيد له الفرح .

فقال « أحبها أحبها سأضمها الليلة بين ذراعي .سأجعلها تبكي فرحا »³ كل تلك الدلالات والإيحاءات المتألّمة انغrust في نفس معمر، وبقيت محجوزة هناك في صدره ولم يستطع البوح بها، وهذا يدعم أكثر اغترابه وقلقه على حاله وعلى ما آل إليه فحاول الكاتب أن يوجه شخصيات الرواية توجيهها إيجابيا من خلال تفريغ شحنات الحزن

¹ الرواية ،ص16.

² الرواية ،ص23.

³ الرواية ،ص21.

والقلق إلى الإبداع وهذا ما نلمسه عند شريف الميكانيكي وهو أحد شخصيات الرواية هذا العامل الذي « أراد أن يعبر، ويكتب عن عمال الصحراء ومعاناتهم الكبيرة »¹ فتخلّى عن دراسته والتحق بالصحراء ليحقق طموحاته ولكنه فوجئ بهمجيتها ووحشيتها القاتلة.

« لذلك نجده منكبا على تأليف رواية في الورشات البترولية »²

ليعبر عن الأوضاع والظروف التي يعانيها العمال هناك، والتي زادت من غربتهم وقهرهم فهذا العامل أراد أن يجد لنفسه عزاء آخر بالولوج إلى عالم الكتابة الروائية عله يخفف عن نفسه وعن أصدقائه العاملين معه، ويعيد لهم القوة والمقاومة أكثر فأكثر ليتغلبوا على الضعف الذي يهاجمهم في غياهب اغترابهم بالصحراء وتكلم أيضا معمر عن هذا العامل وأشاد به حيث قال : « عندما أراه ممسكا بالقلم أشعر بأنه يقاوم الضعف الذي يهاجمنا في وحدتنا الصحراوية »³

وبذلك غدت الكتابة هي المتنافس لهؤلاء العمال لإخراج مكنوناتهم وخباياهم النفسية وتصوير عقدهم تصويرا حقيقيا يعكس جملة من الأحاسيس والمشاعر المضطربة لقد خيمت مظاهر الحزن، والقلق على النص الروائي لتعبر لنا عن نفسية معمر هذا الإنسان الذي تسربت مشاعر الاغتراب إلى ذاته المنكسرة فجسدت لنا ويلات عنائه التي حاصرته وأفقدته القدرة على الصبر، والمقاومة فانفجر بالبكاء الحار ليعبر عن أزمته النفسية ويصور لنا مآسيه، وانفعالاته التي عصفت بكيانه، وفضحت شعوره وإحساسه الدائم بالفراق والبعد عن أهله ومدينته فقال: « لم أطق صبرا فبكيت، جرت الدموع على خدي كانت الريح تزمجر وحدها في هذا الكون الحزين والبرد القارص يلسع جسدي

¹ الرواية، ص58.

² الرواية، ص57.

³ الرواية، ص58.

جمدت في مقعدي تساءلت عن سبب بكائي الحار ولماذا بكيت؟ أهى نوبة عصبية أم ماذا؟¹

كما كشفت لنا الرواية عن طفولة معمر الأليمة فهو عاش يتيتما أضف إلى أن الزمن لم يرحمه وانقلب عليه لهذا نجده لا يحب أن يسبر أغوار طفولته، لما فيها من حرمان وفقدان جسد هول مأساته ، وصور قلبه الجريح المليء بالذكريات النابضة بالأسى المديد المنغرز في قلبه والتي لا يحب تذكرها فقال « : هذا الزمن العنيف لم يشفق علي، أخذ طفولتي الشقية وفر داخل ذاكرتي المفجوعة، لا أحب أن ألتفت إلى أيام طفولتي، ذكرياتها حزينة مظلمة مازالت كالسكاكين منغرزة في القلب المرهق . »² وهذا هو حقا أقسى أنواع العذاب والمرارة التي يعاني منها البطل غارقا في عذابه ووجعه المرهون بالقلق الدائم والمستمر .

حاول الكاتب أن يصور لنا المعاناة التي حصدها المغترب معمر في الصحراء إذ اخترقت كل الثقوب، والجدران وتسللت إلى قلبه لترسم ،وتتحت أخايدها بين جزر الواقع وصخب الحياة، فكانت الرواية مرآة عاكسة لكل الأوضاع المحيطة به إذ أصبح ينفر ويهرب من كل الأسئلة الموجهة إليه حول عمله بالجنوب وكأن همه لا يكفيه حتى يزيده الناس باستفهاماتهم التعجبية هذا يوضح مدى تعمق الحزن، والكآبة في نفسه فلم يعد قادرا على سماع النصائح والمواعظ، فعاش تجربة مريرة مثقلة بالهوامش التي حطمته وأفقدته أعصابه ففشل في إقامة العلاقات مع الآخرين لتطفلهم على حياته الشخصية، ومحاولة معرفة الصدى الذي خلفته الصحراء في ذاته حيث قال: « آه...لكم أنفر من كل رجل يرى نفسه معنيا بشؤوني الشخصية ويستغل كل الفرص ليمطرني بأسئلته التافهة

¹ الرواية ،ص34.

² الرواية ، ص7.

...يامعمر الجبلي أمازلت تشتغل في الصحراء ؟ متى تحال إلى التقاعد؟ قل لي كم هو

راتبك الشهري؟ متى تعود إلى بيتك لتهتم بعائلتك، هل تزوجت مرة أخرى؟¹ «

فاضطربت نفسيته وتداخلت مشاعره بيت الرفض لهذا الواقع والسخط من هذه الحياة فمن

كثرة التفكير المستمر، والمتواصل في حاله أصابه الصداغ حين قال: « زادني الصداغ

اللعين سأما من هذه الحياة الكئيبة »² فتشكلت لديه شخصية مريضة انفعالية جعلته

يسأم من كل شيء ولا يحس بأي طعم كل شيء عنده له نفس الذوق ألا وهو المرارة

لاغير.

2.1 الاغتراب الاجتماعي :

إن الإنسان بطبعه طموح لتحقيق الأفضل، والأحسن في حياته لإرضاء حاجياته

ومتطلباته ليغير من أسلوب معيشته أو تحسينها، لكنه سرعان مايصطدم بالواقع نتيجة

التطورات الاجتماعية التي مست جميع مجالات الحياة مما أدى إلى عجز الأفراد عن

مواكبة هذه التحولات، والتغيرات المستمرة هذا خلق لديهم مشاكل نفسية، واجتماعية

فتفطنوا إلى ضرورة تغيير الأنظمة السائدة « إما بمحاولة إسقاطها وإما بتغيير القانون

الاجتماعي أو التدمير »³

لكي يتمكن الفرد من التخلص من السلاسل التي تكبله، ويخلق لنفسه المحيط

الملائم الذي يتعايش معه.

حيث أن الاغتراب ينشأ نتيجة للمنطقات الداخلية التي تفرزها الأنظمة الاجتماعية

وقيمها ومن أبرزها الفقر وبذلك « يصبح الاستمرار في العيش كمطلب فطري للإنسان ربما

يتطلب المغامرة التي لاتخرجه عن دائرة الاغتراب، وتملاً ذاته حزناً وهماً »⁴

¹ الرواية ، ص98.

² الرواية، ص41.

³ يحيى العبد الله، الاغتراب، دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،

الأردن، عمان، ط1، 2005، ص80 .

⁴ أحمد علي الفلاحى الاغتراب في الشعر العربي، ص52.

وهذا مانعثر عليه في شخصية معمر، إذ ظهرت بعض الملامح الدالة على الاغتراب الاجتماعي في رواية " هوامش الرحلة الأخيرة" ومنها بعد البطل عن أسرته التي شغلت تفكيره وكشفت عن معاناته لانفصاله عنهم فلم يستمتع بالحياة، عانقه الاغتراب منذ ربيع عمره حينما هاجر إلى المهجر وكّدّ وتعب وبعد عن زوجته كما لم يشبع عينيه بلحظة ولادة أبنائه ليرفرف الألم فوق رأسه من جديد ويسمو عذابه أكثر فأكثر

فقد انفصل عن قرة عينيه بسبب المال، للتخلص من دائرة البؤس والشقاء فقال « بدأت تضايق في ..العمل بعيدا عن أهلي تزوجت و أنا في المهجر وأصبح لي أولاد وأنا عامل في الصحراء لم أر لحظات ولادتهم حقا المال يحل أزمات كثيرة ولكنه لايساعد الإنسان على استرجاع الزمن الذي انقضى»¹

حاول معمر أن يحقق طموحاته وآماله كالمسكن الذي وعد زوجته به لكي لاتذهب غربته أدراج الرياح.

فقال: « وعدتها ببناء بيت جميل في حي الربوة سنهجر شقة العمارة الصفراء أصبح السكن فيها عذابا قالت لي زوجتي يوما عندما تبني لنا المسكن الجديد أقول لك بأن عملك في المهجر أو في ورشات الصحراء كان مفيدا لنا جميعا »²

كما سخر البطل من نفسه التي جرت وراء ملذات الدنيا، مضيقا بذلك شبابه لم ينتبه له حتى فاجأته الشيخوخة، وغطته بلباسها الثقيل وضربت له موعدا مع اليأس، والسقم من الحياة على حد قوله « عندما فاجأتني الشيخوخة ندمت على أيام الشباب والكهولة التي أضعتها جريا وراء المال يالها من سخرية »³

¹ الرواية ، ص45.

² الرواية ، ص33.

³ الرواية، ص89.

طرح لنا الكاتب نموذجاً عن الاغتراب في روايته برصده للواقع الاجتماعي الحقيقي الذي نتلمسه في شخصية البطل، إذ فترت علاقات التواصل والتفاعل الاجتماعي بينه وبين معارفه و غدت علاقات سطحية روتينية تحمل في طياتها التفاهة واللامبالاة. فاقدة للمصداقية، والشفافية مثل علاقته بصديقه القديم "قدور الفجي" الذي ضايقه بأسئلته ونصائحه حين قال له:

« لماذا لا تشتغل في التجارة أو في الفلاحة ؟

كدت أنفجر في وجهه لولا الحياء لم أعد قادراً على سماع النصائح المملة و أنا في هذه السن المتقدمة شعرت أن قدور الفجي يحاول مضايقتي بأسئلة المخرجة ¹ هذه الكلمات البسيطة لها الأثر العميق في جوهره إذ تعكس مظاهر قلقه وكبته للحزن والأسى رامزة بذلك لاغترابه وغربته ،و فقدته التوازن والثبات في حياته أين استولت عليه مشاعر الإحباط والفشل أضف إلى ذلك الخوف من ضياع أهدافه . بحكم أن اغترابه كان نتيجة حتمية لتحقيق ما يصبو إليه بقطفه للحلم الذي طال انتظاره و هو جمع المال لإرضاء حاجياته فالبطل معمر ضعفت إرادته ، وتلاشت ثقته في نفسه فقال « مالذي يرغمني على البقاء بين كثران الرمال بعدما جمعت ثروة تسمح لي ببناء بيت فسيح وفتح محل للتجارة المربحة ؟ فجأة بدت لي حياتي قاحلة شعرت بأنني متعب و في حاجة إلى الراحة فكرت في الابتعاد عن الصحراء ² . أضف إلى أن رؤيته للحياة تغيرت، وأصبحت رؤية سوداوية محبطة.

أما إذا نظرنا في علاقة المغترب مع أهل مدينته، وجيرانه فإننا نجد هذه العلاقة ليست مبنية على الألفة، والمحبة أو صداقة ودية ذلك أن الصحراء أبعدته عن جو العلاقات الحميمة، والسهر والسمر مع الأصحاب فبات معمر لا يحب المكوث في المدينة التي ينتمي إليها إذ أن التواصل بين الناس هو الذي يوفر بعد الألم الراحة

¹ الرواية، ص51.

² الرواية، ص45.

وبعد الضيق الفرج لكن إن غابت تلك الأواصر المجتمعية يفقد الإنسان التلاؤم والانسجام.

وهذا ما عبر عنه البطل حيث قال : « لقد فتر حماسي للمكوث في المدينة لم يعد لي فيها أصدقاء حتى سكان العمارة الصفراء لا تربطني بهم علاقة ودية، الصحراء باعدت بيني وبين الناس »¹.

وهذا يوضح مدى توسع الهوة الاغترابية في ذات معمر التي عكست لا مبالاته اتجاه الآخرين.

كما أنه فقد الثقة في الناس وانعزل عنهم، وعن محيطه فاضطربت مشاعره وانشطرت ذاته فلم يعد يحاور الأشخاص حتى بعد عطلته وعودته للبيت خلقت الغربة في نفسه جوا من الملل، والفراغ فكانت زوجته تحته على الخروج من البيت وزيارة الأهل والأقارب فقال معمر « تقول لي بلطف:

-لماذا لا تخرج إلى شوارع المدينة ، ترتاد المقاهي كالآخرين و تلتقي بالناس ؟
ثم تحتني عل زيارة الأقارب و لكنني كنت أرد عليها بلا مبالاة
-لست في حاجة إلى هم العباد بعد هموم الصحراء ؟ »²

فأصبح البطل كتلة من المشاعر، والأحاسيس المضطربة والمتناقضة.

كما رصدت لنا الرواية علاقة البطل بالعمال العاملين معه في الصحراء كانت علاقة أخوية مبنية على المحبة، والألفة و كأن البطل صنع لنفسه انتماء آخر فأصبحت الصحراء منزله الذي انعزل عنه، وأضحى العمال أهله الذين اغترب عنهم.

يحاول معمر أن يتجنب لوعة الفراق التي تختلج صدره مسببة له نزيفا يصعب إيقافه

فحاول توجيه مشاعره نحو أصدقائه، الذين بدورهم يواجهون زوابع الصحراء ورمالها يكدون ويتحدون الصعاب والظروف القاهرة التي فرضت عليهم ومن الطبيعي أن يحبهم

¹ الرواية، ص 98.

² الرواية، ص 40.

ويحتلون مكانة في قلبه، للمدة الطويلة التي قضاها معهم فقال معمر « هؤلاء العمال أهلي
عمال شجعان قضيت جل أيامي بينهم في ساحة شعوري تمثلت لي وجوه لفحتها حرارة
الصيف والزوابع الرملية، وبرد الليلي الشتوية »¹

ولكن رغم ذلك لا يمكن لمعمر أن يوهم نفسه بنسيان أهله أو يعوضهم بأسرة أخرى
إذ أن شخصيته أصبحت حساسة بعد كل الألم الذي أصابه فوجد نفسه وحيدا منعزلا عن
الناس في غرفة هادئة يفكر في مأساته التي أدت به إلى نوبة عصبية حيث قال:
« وجدت نفسي وحيدا في غرفتي الهادئة مكثت لحظات طويلة في سريري الصغير
تذكرت ماجرى لي البارحة عشت نوبة عصبية شديدة »² فانغمس في بركة من العذاب
مرة أخرى رغم أنه حاول بناء جسر يعبر من خلاله إلى بحة أمل عله يجفف دموعه التي
يعتصرها قلبه.

واستغرب البطل من نفسه التي تعاني الانفصام يتخللها الاضطراب والتشتت حيث
تتصارع ذاته المغترية بين البقاء، والرحيل فبعد انتهاء عطلته يحمل حقيبتيه ويعود للعمل
وهنا يكون في شوق لرؤية عمال الورشات، وحين يصل إلى هناك أي حاسي مسعود
وبالأخص في غرفته الضيقة يستولي عليه الضيق، ويغمره القلق وتتسلل الخواطر إلى
فكره وبحس بالمرارة التي ترهقه وتجول به في عالم كئيب تعيس فتغزوه الأمانى والأحلام
إلى بيته لينتهي عذابه لقوله : « بعد عطلي التعويضية أحمل حقيبتى الجلدية السوداء
وأعود إلى الورشة في مطار السانية وهران، وأنا بين عمال شركة سوناطراك المتوجهين
إلى حاسي مسعود وإن أمناس تتملكني حالة غريبة من الاشتياق إلى عمال الورشات
وحين وصولي إلى غرفتي الضيقة يستولي علي القلق وأتمنى العودة إلى البيت ياله من
عذاب؟ »³

¹ الرواية، ص56.

² الرواية ، ص80.

³ الرواية ، ص61.

ربما تعود هذه الحالة المتوترة عند معمر إلى كبره في السن فقد قضى جل حياته مغتربا مما ساهم في إضعاف إرادته، ومن خلال هذه الإيحاءات يتبين لنا أن شخصية معمر لا يشرق عليها يوم جديد إلا ويكون ممثلي بالأحزان بل تزيد حدة الألم والغربة . ومن الحالات الدالة كذلك على الاغتراب هو التداخل بين الواقع والخيال إذ كان معمر في أحيان كثيرة ينسج قصصا من الخيال لأصدقائه، ويضيف عليها توابل المبالغة والإبداع فقال: « بأنهم في أكثر الأحيان كانوا يصدقون حكاياتي التي كنت أنسجها لهم من خيالي »¹

وكان السائق رزقي أيضا الذي يعمل في الصحراء مع معمر مثالا آخر عن المغترب الذي يتكبد الألم والمشقة، وظل متأرجحا بين اليأس والأمل يحلم باليوم الذي يتقاعد فيه ويحصل على الراحة والطمأنينة، والخوف من غدر الصحراء القاحلة التي تكسوها الرمال الذهبية فاقدة للخضرة التي تبعث على الأمل والتفاؤل والسرور هذا ماجعل رزقي يكره العمل فيها لصعوبة تأقلمه مع جفافها ونيرانها اللافتة حيث قال:

« سيأتي اليوم الذي أحال فيه إلى التقاعد، ولكن أخشى أن أفقد أعصابي في هذه الصحراء المتبرجة قبل أن أحقق بعض أحلامي ثم بضيق :

كرهت العمل في هذه المنطقة المتبرجة (...) أحب الخضرة التي تكسو الأرض »²

عبرت هذه الدلالات عن نفور العاملين من الواقع الذي أرغمهم على السباحة في بحيرة من العذاب النفسي، المحتقن بالشكاوي والهموم.

حاول معمر التغلب على المعاناة التي تكبدها في الصحراء إذ قرر بعد كل الصعاب والأزمات النفسية، والاجتماعية أن يخرج من بؤرة العذاب بتخليه عن العمل في الصحراء فكانت لديه فرصة لإعادة بناء الحلم من جديد، إلا أن لحظات الفراق كانت حزينة ومؤثرة فالبطل قديم هناك، والكل يعرفونه فانتشر الخبر في أنحاء

¹ الرواية، ص11.² الرواية، ص85.

الورشات لم يعجبه ذلك لأنه يكره ويمقت شفقة الناس ولكثرة طبيئته وحنانه على كل الشخصيات الموجودة في الرواية تألموا بدورهم على فراقه وحاولوا رفع معنوياته لقولهم انتهى زمن الغربة وانقضت أيام التعاسة فذكر البطل كل هذا في مقاطع حوارية دارت بينه، وبين زملائه في الصحراء إذ سرد ماحدث لقوله :

« لحظات الفراق كانت حزينة جدا لمعت عيون أصدقائي ببريق العبرات الحبيسة قال عواد الحارس بحزن:

-لقد نجوت من الصحراء المسعورة يا عمي معمر

وردد شريف الميكانيكي:

-الحمد لله على شفائك

وقال لي حميد الروخو:

سأزورك قريباً في العمارة الصفراء

وتتمتع عواد الحارس وهو يتصفح ملامح وجهي :

لاتفكر في الصحراء انتهى زمن الغربة »¹

نلاحظ بأن معمر كان يسرد كل التفاصيل بدقة ليعبر أكثر عن عمق تجربته المريرة ويكشف لنا عن رحلته الصحراوية التي انتهت لامحالة كما تجسد حوار معمر مع نفسه التي امتزجت بالعواطف لبعده عن زوجته التي تركها وهي ماتزال في قمة شبابها لم تصل حتى لمرحلة الكهولة تركها وحيدة بعد ذهابه إلى الصحراء لقوله : « مازالت زوجتي حيوية وفي قمة نضجها لم تبلغ سن الأربعين بعد تزوجتها وأنا في المهجر بعد أيام من رجوعي من فرنسا غادرت المدينة إلى الصحراء تركت يمينه وحيدة في الشقة التي اشتريتها في العمارة الصفراء »²

¹ الرواية، ص84.

² الرواية، ص82.

لقد أثر هذا الحدث فيه كثيرا كيف لا، وقد انفصل عن أغلى أحبابه أضف إلى ذلك إحساسه بالعجز والفشل في الحياة، فبعده عن زوجته تسبب في اغترابه عن ذاته ومن ثم اغترابه عن الآخرين وانعزاله عنهم

فقد أبسط حقوقه في الحياة ألا وهو البقاء في مجتمعه معززا مكرما يشغل في مدينته بقرب أسرته زيادة على ذلك شعوره بالهامشية، وعدم مزاولة النشاط الاجتماعي العادي فكل هذه الإشارات والدلالات نجدها جاءت حاملة لمعاني الاغتراب الاجتماعي كالانعزال والانفصال والضياع، والتهميش وغيرها من المعاني التي تنطلق كالسهم المصوب نحو القلب الجريح ليبقى يخفق وينبض دائما بالقهر المنقوش على حياة معمر ينغص عليه أيامه وبذلك فالاغتراب الاجتماعي من أخطر أنواع الاغتراب الذي يمكن أن يلحق الشخصية المغتربة، ويؤثر عليها، ذلك أن العامل حينما يعمل في مجتمع غير مجتمعه يصبح له هدف واحد وهو كيفية التواصل وتحقيق الانسجام مع أفراد المجتمع المحيطين به فيسعى جاهدا لتبني قيم جديدة غير قيمة تمكنه من البقاء والاستمرار، إلا أن الواقع أصعب من ذلك فإذا لم يتمكن من الاندماج ومواكبة الأحداث والوقائع الجديدة هنا يحدث التصدع والشقاق بينه وبين الآخرين، ويتغرب العامل عن كلا المجتمعين مجتمعه والبيئة الجديدة عليه، ويعيش في عزلة تامة عن الناس مما يفقده السيطرة على نفسه.

وهذا اللون مع المعاناة تجسد في شخصية بطل الرواية معمر الذي لم يستطع الصمود والبقاء أكثر في عمله بالصحراء فكان ينعزل عن الآخرين أحيانا، وأحيانا أخرى يغرق في ذكرياته لذلك قرر أخيرا الاستقالة لأنه لم يبق له أي طاقة في الصحراء لقد تآكلت مع حرارتها اللافتة لقوله:

« لقد استنزفت الصحراء كل طاقاتي إني عائد إلى بيتي سيكون لي وقت طويل

لممارسة الحلم من جديد لأسمح لأي شخص أن يفسد حياتي القادمة »¹

¹ الرواية، ص 86.

وكان عمي معمر كالطفل الصغير الذي يحلم بمستقبل واعد ينتظره ولا يسمح لجنس مخلوق أن يفسد حياته

1.3 الاغتراب السياسي :

تزداد يوما بعد يوم الصراعات والتناقضات التي تسود المجتمعات وتطال الأفراد على حد سواء بسبب الأنظمة السياسية، والقرارات الصادرة عن رموز الدولة بما فيها « من عماء السلطة وعماء دكتاتوريتها »¹ التي تفرض على الأفراد وتحملهم فوق طاقتهم حيث أن فساد النظام يؤدي إلى كبت حرية الأفراد مما ينمي إحساسهم بالفشل والعجز عن تحقيق أهدافهم، كما أن الاغتراب السياسي « يرجع إلى الظروف الاجتماعية المقيدة لحرية الفرد وعدم وجود فرص لتحقيق أهدافه »²

ذلك أن المتغيرات الاقتصادية وما ينطوي تحتها من فقر يكون باعثا من بواعث الاغتراب السياسي وما يصاحبه من يأس واستياء، واللامبالاة وهذا ما حاولنا رصد في هذه الرواية التي جاءت عاكسة لوضع الشخصيات ومن بينها قدور الفجي صديق قديم لمعمر إذ ضاق صدره من هذه البلاد لقوله : « كل شيء في هذه البلاد جامد لقد جمعت ثروة ولكني لم أجد مجالا حيويا لأستثمرها فيه الفرص في بلادنا ضئيلة، والشخص المتميز لا يحبه الناس »³

فعبر عن سخطه من السياسة السائدة في الدولة والتي لا تعطي الحرية للأفراد في اختيار ما يريدون حسب كفاءاتهم وقدراتهم بل تسير الفرد حسب مشاريعها واستثماراتها والفرد إما أن يتقيد بهذه القوانين وإما أن يتمرد عليها، وهنا يدخل في دائرة الاغتراب السياسي فالفرد حينما يشعر بأن خيارات بلاده، ومواردها الطبيعية ستتحول إلى نقمة ضده وتزيد من غربته وعذابه يصبح رافضا لهذه القرارات والقوانين وهذا ما جعل قدور الفجي

¹ سليمان حسين، مضمرة النص والخطاب، ص208.

² عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص108.

³ الرواية، ص53.

يقول « بعد وفاة الزعيم بومدين بدأت البلاد تتحرك ولو ببطء... ستتحسن الأمور لوتخلت الحكومة نهائيا عن الاشتراكية وحكاية " ماميا الثورة الزراعية " ¹ التي تنص على خدمة الشعب عند الحكومة وهنا يبدأ الاغتراب السياسي الاقتصادي حين يستشعر الفرد بفقدان الحق في وطنه ثم بآراء وأهواء المسؤولين في الدولة، مما يجعل الفرد ينعزل وينفصل تدريجيا عن وطنه ويشعر باليأس والتعب من الأوضاع المحيطة به كما يفقد حرية الإبداع والابتكار.

لقول ناصر النقابي « التقاعد في بلادنا جحيم ستجد نفسك أمام الفراغ القاتل إذا لم تشغل نفسك بأي عمل ستصبح عبئا حتى على عائلتك » ²

وبهذا فهو يلح للفرص الضئيلة الموجودة بالبلاد فلو كانت القرارات صائبة وتخدم عامة الشعب لما تغرب معمر عن مدينته غليزان إلى مدينة أخرى بحثا عن لقمة عيشه فجاءت الرواية معبرة ومصورة ليس لمعمر وحده، وإنما تلمس مأساة شعب بأكمله الشعب الجزائري الذي يعاني جراء هذه القوانين التعسفية التي لم تعد إلا بالضرر على الفرد أي أنها تحمل بعدا رمزيا يتمحور حول المشاكل الاجتماعية وماينجم عنها من هموم إنسانية تعيش في دوامة من العلاقات المعقدة، والمتشابكة بخيوط الدولة وأحكامها المرتبطة بجراح وتشرذم الأفراد وبعدهم عن أوطانهم.

¹ الرواية، ص53.

² الرواية، ص104.

2/ علاقة الاغتراب بالمكان والزمان:

2-1 المكان:

يحتل المكان موقعا مهما في الرواية باعتباره العنصر الرئيس الذي تنتظم به الأحداث كما أنه يكشف عن مكونات الشخصية الروائية « بإسقاط الحالة الفكرية والنفسية للأبطال على المحيط الذي يوجدون فيه يجعل للمكان دلالة تفوق دوره المألوف كديكور أو كوسط مؤطر للأحداث »¹

وقد نال المكان مثله مثل بقية العناصر الحكائية الأخرى أهمية كبيرة عند العلماء والباحثين، وتعددت بذلك الدراسات المكانية متخدة معاني ودلالات، ورموزا متنوعة بتنوع أحداثها « بحيث لا يمكن تصور حكاية بدون مكان فلا وجود لأحداث خارج المكان ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان وزمان معين »²

أي أن الحركة تقع في مكان ما، والأحداث تتجسد هي الأخرى في ذلك المكان وبالتالي غدت العلاقة بينهما تأثير وتأثر، كما يشكل المكان همزة وصل بين الإنسانية جمعاء فعلاقة الإنسان بالمكان علاقة وطيدة شهدت ارتباطه به منذ ولادته، كما شهدت طفولته البريئة، والأرض التي عاش فيها أجداده وآبائوه وعبر عن حنينه إليها كما قالت يمني عيد « ألم تبث فيه الذاكرة متعة التذكر إذ ترسم للعالم المفقود صورة متخيلة هي المرجعي المستعاد »³ وبذلك غدا المكان راسخا في الذاكرة يعبر عن المحبة والألفة التي تجمع بين بني البشر، أضف إلى ذلك أن المكان يساعد بدوره على تطوير بناء الرواية كما أنه يحمل رؤية البطل، وأفكاره ويجسدها على أرض الواقع، وهذا ما نلمسه في هذه الرواية فقد عاش معمر تجربة الاغتراب المكاني ببعده عن مدينته " غليزان " ومن هنا بدأت الآهات

¹ حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2000، ص71.

² محمد بوعزة، تحليل النص السردي وتقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون، الرباط، المغرب، ط1، 2010، ص99.

³ يمني العيد، فن الرواية العربية بين خصوصية الحكاية وتميز الخطاب، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص115.

والمآسي التي يعاني منها المغترب ذلك أن شعوره بعدم الانتماء للمكان الذي احتضنته منذ طفولته أثر فيه كثيرا، خاصة وأنه عاش الاغتراب داخل وطنه الجزائر وهذا أصعب الأوجاع، وأقسى أنواع المرارة أن تغترب داخل وطنك بين أهلك وأحبائك. فتجلت الأمكنة الاغترابية في الرواية متمثلة في الشاحنة، المقهى، البيت، المدينة، القرية كلها عبرت لنا عن تمزق البطل، وانحنائه أمام عذابه بالرضوخ لليأس و القهر.

-الشاحنة:

كانت نقطة انطلاق معاناته التي تمثل حالة الانعزال، وفضاء القلق فكان معمر يقضي جل وقته فيها منتقلا بين المدن وبهذا رمزت إلى اغتراب سائقها وعبرت عن المأساة التي تلاحقه وعن الألم الذي استولى عليه يمزقه ويعذبه لقوله : « على مقود شاحنتي الرمادية وضعت رأسي المثقل بأفكار مضطربة، وإحساس غريب يعربد ويمزق نفسي »¹

فرغم ضيق مساحة هذه الشاحنة إلى أن أوجاعها كانت أكبر بكثير إذ أصبحت بحرا من الذكريات المؤلمة التي تعذب معمر .

ذكرت الشاحنة كمكان في الرواية مرات عديدة باعتبارها تحتوي على بؤرة دلالية تكشف لنا عن كل الأحداث التي مربها البطل « تتغير ملامح المكان لترسم مرحلة الاغتراب بين الإنسان و مكان عيشه »²

ونلاحظ بأن معمر سئم من العمل كسائق شاحنة و أصبح ينفر منها إذ ضاق صدره من الانتقال عبر الطرقات، وكأنه قطعة في كف القدر يحركها الزمن حيث قال : « عاودني نفوري من قيادة الشاحنة قضيت أكثر من عشر سنوات سائقا

¹ الرواية، ص34.

² صالح ولعة، المكان ودلالته في رواية "مدن الملح" لعبد الرحمان منيف، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010، ص192.

بمديرية الأشغال البترولية منتقلا بين مدن الشمال وورشات إن أمناس " (In-
Aménas) أصبحت قطعة متحركة في كف القدر «¹.

فهذا المكان أثار في نفسه الإحساس بالغربة و أيقظ مشاعر الحزن والانفعال .
وتجلى ذلك في الرحلة التي قام بها إثر عمله بشركة "سونطراك" حيث كانت صعبة للغاية
مثقلة بالأفكار المضطربة و الوسوس المفزعة لقوله « ركنت الشاحنة الرمادية قرب
المخزن الكبير شعرت بأنني أنهيت أصعب رحلة قمت بها منذ اشتغالي بمؤسسة
"سونطراك" ثم قصدت غرفتي الصغيرة و أنا في غاية الانفعال «²

وبهذا يتضح أن للمكان الجانب الأكبر من التأثير في الشخصية و زعزعة كيائها
مثل الكآبة التي اجتاحت نفسية معمر لقوله :

« في غرفة شاحنتي الكئيبة، شعرت بغصة في حلقي »³

فكلها دلالات حاملة لمعنى الاغتراب عن المكان الذي ينتمي إليه معمر فعبر عن
تعبه من هذه الشاحنة و كأنها محمولة على كاهله.

-البيت:

إن البيت هو مكان للدفع، والحنان والراحة، والأمان كما أنه الحاضن للطفولة و الصبا
يحمل الذكريات، ويعبر عن الأحلام والأمني.

وهذا ما لم يجده البطل معمر حيث اغترب عن بيته تجرع طعم فقدان والفراق للأهل
والأحبة فاشتدت به الرغبة للعودة إلى منزله مهما كانت الأحوال والظروف حين

قال: « شعرت برغبة جامحة في العودة إلى بيتي ثم قررت السفر ولو في حافلة شركة
نقل المسافرين المتوجهة يوميا إلى ورقلة »⁴ وبالتالي غدى المكان في الرواية مكانا

¹ الرواية، ص11.

² الرواية، ص60.

³ الرواية، ص33.

⁴ الرواية، ص70.

اغترابيا دالا على الاشتياق والحنين كيف لا، وأن معمر لم يجد زوجة تساعده في غربته ولا حتى أولاد يدخلون البهجة والسرور لقلبه ليقول:

« ازددت رغبة في العودة إلى بيتي استولى علي حزن عميق مضت لحظات طويلة قبل أن يغالبني النعاس »¹

فتبين لنا أن المكان المتواجد فيه تتعدم فيه الراحة وبصعوبة يتسلل النوم إلى قلبه المسكون بهاجس العودة والرحيل ليتخطى بذلك كل الحدود الجغرافية التي تقف حاجزا أمام حريته وانعزاله عن الآخرين الذين يجمعهم المكان باعتباره « الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، لذا فشأنه شأن أي نتاج اجتماعي آخر يحمل جزءا من أخلاقية وأفكار ووعي ساكنيه »²

وإذا تتبعنا أسلوب الروائي " محمد مفلح" نجد أنه لم يقم بوصف البيت وصفا تفصيليا دقيقا من حيث إظهار جمالياته، وصوره وألوانه الفنية، بل اكتفى بأشياء بسيطة مثل "السرير ، الكرسي الخشبي، الطاولة الآباجورة ، المطبخ" فهي كلها كلمات لاتصل لدرجة الحالة النفسية عند معمر، أي أنه حاول أن يمزج الحالة النفسية بهندسة الفضاء المكاني ليوضح لنا أثر الاغتراب المكاني الأسري، الذي تجلى في الرواية حيث يقول معمر « في أيام عطلتي التعويضية التي تدوم أسبوعين لا أبرح البيت إلا لبضع دقائق أجلس في غرفتي أو في الصالة أتفرج على برامج التلفزيون وأطالع الجرائد الحكومية »³.

يدل هذا على كثرة الاشتياق والشوق لبيته لدرجة أنه أصبح لا يطيق فراقه يحلم بممارسة الأشياء العادية التي حرم منها لقوله:

¹ الرواية، ص 61.

² ياسين النصير، الرواية والمكان دراسة المكان الروائي، دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ط2، 2010، ص 70.

³ الرواية، ص 39.

« نزعنا حذائي الثقيل، وتخلصنا من سترتي ثم ولجنا غرفة النوم، وجلسنا على حافة السرير العريض »¹

وبذلك جاء البيت كمكان، يرمز للبعد الأسري عند معمر إذ ضاق صدره بهذا الجفاء وبهذه الغربة وأحس بأنه وحيد يتحدث إلى أهله فلا يسمعون، ويحتاج إليهم فلا يجدهم وهذا مازاد الطين بلة.

-القرية:

جاءت القرية كفضاء مفتوح في الرواية لتصور لنا أجواء نفسية معمر المؤلمة والحزينة تكتسي حلة بعثرة المشاعر وفوضى الأحاسيس التي اعترت حياة البطل المضطربة والفاقة للأمن والسلام والراحة النفسية والقرية هي « مكان شبه مغلق معزول يفتقر لأبسط المرافق لذا يكون إيقاع الحياة فيها سكونيا نمطيا متكررا »²

كالجامع الدينية الموجودة تقريبا في مجمل القرى إذ دخل معمر في صغره لجامع القرية لقلوبه « في صغري أدخلني والدي جامع القرية كان حريصا على تعليمي حفظت القرآن الكريم على يد سي أحمد الفاطم كدت أصبح طالبا لولا رغبتني في المغامرة بعد وفاة والدي هجرت الجامع وبالرغم من توسلات والدي لم أواصل تعليمي »³

فالبعد الأسري له الأثر الكبير في التكوين النفسي للشخصية، وهذا ما نلاحظه على البطل معمر إذ حطم مستقبله نتيجة للظروف التي لازمته منذ صغره فأبى أن يواصل تعليمه بل وفكر في الانتحار حين سمع بمقتل والده، مما أثر بدوره على والدته المسكينة لقلوبه « حدست والدي ماكان يجول في ذهني ابتعدت عني وجلست في زاوية الكوخ ثم راحت تراقبني بحذر تنهدت المسكينة كانت مثلي تعيش في دوامة الزمن العنيد »⁴

¹ الرواية، ص 104.

² الشريف حبيلة، الرواية والعنف، دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010، ص 49 .

³ الرواية، ص 48.

⁴ الرواية، ص 48.

أي أن معمر ليس وحده من يعاني بل والدته معه التي لم يشفق عليها الزمن ووصف حياتها وصفا عميقا مكللا بالأوجاع والآلام.

كانت عائلة البطل فقيرة وزادت فقرا بعدما توفي والده ما أجبر والدته على العمل في حقل "الرومي جانو" لقوله" كانت أُمي تشتغل في حقول الرومي جانو طلبت منها ألا تعمل فقالت لي : « ماذا نأكل يا ولدي وسكنت المسكينة لم أرد عليها وفي مساء اليوم التالي انزوت في الكوخ المتواضع وانخرطت في البكاء »¹

هذا حَزَّ في نفسه كثيرا إذ لم يرغب أن تشتغل والدته ولكن هيهات سيموتون جوعا إن لم تفعل ذلك وما أصعب الأوجاع أن تجد أقرب الناس إليك في حالة يأس ودمار ليس نفسيا فقط بل وجداني وفكري وذهني فلم يتمتعوا بالراحة الموجودة في القرية بل انقلب عليهم الدهر ورجمتهم الأيام بنيرانها الحارقة لكل أمانهم وما زاد من غربة معمر وشعوره بالضياح غياب والدته فبعد وفاتها تحطم قلبه لقوله : « عندما سكنت الجبل الأخضر ظلت تنتظرني علمتني كيف أواجه الحياة بابتسامة عريضة بعد غيابها الأبدي شعرت بالضياح عدت إلى القرية وقلبي يعصره الألم »²

فلم تكن القرية مبعثا على السعادة عند معمر بل أضحت هي الأخرى رمزا للألم والأنين الصارخ من أعماقها التائهة والمتشردة المحكومة عليه بالمعاناة فلا طفولته كانت سعيدة ولا كبره كان فرحا ورغم الألم الذي تكبده في القرية ،إلا أنه فضّل العودة إليها لتعبه من صخب المدينة ففكر في العودة إلى قرية الأجداد عله يجد بعض السلام لقوله:« فكرت في العودة إلى القرية أصبحت مهجورة نزح جل سكانها إلى مدن الغرب الجزائري »³

وبهذا عكست القرية ملامحها الحزينة في نفسية البطل وصورت لنا طفولته المملوءة بالذكريات المؤلمة .

¹ الرواية، ص35.

² الرواية، ص101.

³ الرواية، ص98.

-المقهى:

من المعروف أن المقهى مكان للتجمعات الرجالية تتوافد عليه جميع طبقات المجتمع الغني والفقير، يجمع شخصيات غريبة عن بعضها البعض، يقصدونه لتمضية الوقت والترفيه عن النفس بالسهر والسمر، الفرح والسرور، إلا أن ذلك لا يتوافق مع شخصية معمر فهو لا يقصد المقهى للحديث أو تبادل الحكايات، وإنما هو يعكس جانبه النفسي المظلم، فكان معمر يجلس بمقهى (السائق) الكائن بمدينة وهران وكأنه الوحيد في هذا العالم الذي يتكبد المعاناة، ومايدل على اغترابه هو جلوسه في زاوية غير مضيئة ويكتفي بالتأمل في هذه الحياة التي غربته ووضعته على الهامش لقوله : « كان مقهى (السائق) مكتضا بالرواد الذين لم يعرفوا معنى المعاناة على عجلات الشاحنة، ولم يقضوا مثلي أياما طويلة داخل غرفتها الخائقة كانت الساعة السابعة صباحا دفعت الباب الزجاجي للمقهى ثم اتخذت مكاني في زاوية غير مضيئة »¹

يتضح لنا أن حتى المقهى كان بالنسبة إليه غرفة خائقة فكان معمر كغيره من البشر يرتاد المقهى يشرب القهوة ليخفف عن نفسه قليلا ويرتاح من قيادة الشاحنة، يحاول ممارسة الأفعال العادية حتى يحس بأنه موجود لقوله « شربت قهوتي في ثلاث رشقات ودخنت سيجارة ثم وضعت ثمن القهوة على المائدة ونهضت ثم تحركت نحو الباب الزجاجي »² فهذه التحركات البسيطة كشفت لنا عن نفسية المغتربة وجسدت لنا معاناته المكانية.

وقد استخدم الروائي الأصوات التي يعج بها المكان من قبل الموجودين ليرمز للحركة المكانية في المقهى المملوءة بالثرثرة ، والصخب العالي لقول البطل « دخلت المقهى وأنا ألهث شعرت ببعض التعب اقتربت من سن الستين لاحظت أن السكون

¹ الرواية، ص91.² الرواية، ص11.

الذي كان يعم المقهى، مملوء بصخب لاعبي الدومينو كان جل الرواد يثرثرون وفي عيونهم شبه سؤال ¹ «

هذا يوحي بعزلة معمر وسكونه وكأنه غريب الأطوار أو ينتمي إلى عالم خاص جسد اغترابه، وانفصاله عن الحياة التي اضطر إلى العيش فيها رغم معرفته بصخبها وضجيجها.

-المدينة:

جاءت المدينة موظفة في الرواية كمحطات عبور بالنسبة للبطل عكست قلقه من هذه المدن المكتضة، بالضجيج لقوله: « أه تعبت من قيادة الشاحنة في مدينة وهران تقلقتني السياقة أكثر أتمنى بسرعة الخروج من شوارعها المزدهمة بالمركبات ² » فعبرت الكلمة "أه" عن أعماق اغترابه كما كان يمني نفسه ويحلم بالعودة لمدينته مسقط رأسه لقوله « تمنيت أن أغض عيني وحين أفتحهما أجد نفسي في مدينتي الساحلية ³ »

هذا يدل على ارتباطه وانتمائه لمدينته التي ستشهد على وفاته لقوله « ستشهد مدينة غليزان أيامي الأخيرة ثم دفني بمقبرة سيدي عبد القادر "مول العرف" ⁴ » وبذلك جسدت لنا المدينة مكان اغترابي انفصاله، وبعده عن غليزان التي يأمل العودة إليها.

لم يترك البطل حدثاً إلا وأشار إليه سواء كان مهماً، أو غير مهم رئيسي أو فرعي لقوله « بدت لي المدينة إمراة شقية هجرها عشاقها تعرت تحت سيول الأمطار تغتسل في هدوء متحدية حنينها إليهم ⁵ »

¹ الرواية، ص8.

² الرواية، ص7.

³ الرواية، ص85.

⁴ الرواية، ص97.

⁵ الرواية، ص7.

وكأنه بذلك يعبر عن أحاسيسه، ومشاعره ويصورها حتى في الطبيعة ينقب عن أي شيء يشاركه أحزانه وما يلفت انتباهنا في هذه الرواية تمسك معمر بصلاته ودينه رغم مشق السفر بل كان يجد الراحة في الذهاب للمسجد لقوله: «توجهت بخطى هادئة إلى المسجد صليت فيه الظهر، ولم أخرج منه إلا بعدما شعرت بأنني تخففت من بعض الهموم»¹

فجاء هذا المكان كملجأ يروح عن النفس، ويبعث فيها الأمل من جديد كما جاءت جل الأمكنة الموجودة في الرواية، عاكسة لمشاعر الاغتراب والحزن وعدم الانتماء للوطن هذا الأخير الذي لا يوجد له بديل .

وحمل عنوان الرواية هو الآخر دلالة يوحي لك في الوهلة الأولى بالبساطة ولكن إذا ما قرأت الرواية، وتغلغلت فيها تتضح لك هذه الهوامش المعبرة عن صرخة معمر الأخيرة، وبهذا فالمكان هو الذي يعطي الحيوية للرواية ويساهم في الكشف عن رؤية الأبطال إذ قد يحملون رسالة موجهة للعالم، عاكسة للأوضاع التي خلفها المجتمع الحديث، ولا يكتمل المكان إلا بعنصر الزمن وهذا ما سنتطرق إليه في العنصر الموالي.

2-2 الزمان:

نال الزمن عناية فائقة من قبل العلماء والفلاسفة والأدباء، وكان محل جدل في كثير من القضايا والدارسات الأدبية العربية والغربية على حد سواء ذلك أنه مرتبط بالحياة والإنسان، ملازم لكل شيء موجود على هذا الكون « فالزمن كأنه هو وجودنا نفسه »² متأصل في حياتنا اليومية يلاحق الأزمنة التي يحياها الإنسان والتي تكشف عن وجوده في صباه، وشيخوخته ونهاره وليله دون أن يغادرنا برهة أو يفارقنا دقيقة من الدقائق إذ « إن الزمن موكل بالكائنات، ومنها الكائن الإنساني يتقصى مراحل حياته، ويتولج

¹ الرواية، ص55.

² عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص171.

في تفاصيلها بحيث لا يفوته منها شيء ،ولا يغيب عنه منها فتيل كما تراه موكلا بالوجود نفسه «¹

فهو التحول والتغيير انطلاقا من الماضي والحاضر، مروراً بالمستقبل أي أنه في حركة مستمرة لا تتقطع فظهر الزمن في الأعمال الأدبية عامة والأعمال الروائية خاصة لكونه يساعد على نضج الرواية وتطور أحداثها « فيعمق الإحساس بالحدث وبالشخصيات لدى الملتقى »²

ويغطي العمل السردى بكامله إذ لانجده يظهر تارة ويختفي تارة أخرى فهو موجود وحاضر في كل رواية، سواء كان خيالي أم واقعي جسد لنا الأحداث الاغترابية التي مر بها البطل معمر في حياته.

وإذا لاحظنا نجد أن الكاتب " مفلح " استخدم السرد بلسان البطل معمر ليعبر أكثر عن أزمنة الاغترابية، ويضيء لنا بعض الجوانب من حياته الماضية وزمنه الحاضر. فكان التلاعب الزمني واضحا في الرواية من خلال استحضاره لتقنيات السرد الفنية الحاملة لمعاني الاغتراب التي تعاني منها الشخصية فاستخدم تقنية الاسترجاع، والاستباق وكما أشرنا سافا لتقنية المونولوج ليسبر لنا أغوار شعوره الداخلي الممزق.

- الاسترجاع:

هو عودة الشخصية إلى الماضي باسترجاع الذكريات والأحداث السابقة مع الاستمرار في الحاضر وكأن البطل بذلك يحيي زمنين في آن واحد ،وهذا ما أضفى على الرواية بعدا فنيا جماليا خاصا بها « حيث أن كل عودة للماضي تشكل، بالنسبة للسرد، استذكار يقوم به لماضيهِ الخاص، ويحيلنا من خلاله على أحداث سابقة عن النقطة التي وصلتها القصة »³

¹ مها حسن القصاروي، الزمن في الرواية العربية، ص11.

² محمد بوعزة، تحليل النص السردى وتقنيات ومفاهيم، ص87.

³ حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي الفضاء- الزمن -الشخصية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب ط2، 2009، ص121.

فورد الاسترجاع في الرواية بعودة معمر لماضيه الأليم الذي تجسد في وفاة والدته ومازاد من تكثيف الاغتراب لديه، أنه لم يرها بفعل هجرته لقوله « تذكرت والدتي المسكينة - ضاق صدري ..دمعت عيناى توفت أمي وأنا في المهجر انهمرت دموعي..إلهي أنا عبدك الضعيف»¹ كما تحدث عن والده الذي اغتيل، والذي لم يعرف من وراء ذلك مات ودفن سره معه.

لقوله « أنا نشأت يتيما مات والدي في حقل المعمر " الرومي جانو" لا أحد يدري سبب موته الحقيقي قيل توقف قلبه فجأة وقيل صكتة بغلة " الرومي جانو" »² حقا حياة معمر طافحة بالأحزان مند وعيه في هذا الكون فلا زمنه الماضي كان سعيدا ولا زمنه الحاضر، فجاءت صورة البطل معبرة عن يتمه الذي جاء مبكرا وطفولته الأليمة كما كشفت لنا الرواية عن أسبابه الاغترابية، الذاتية والاجتماعية بعدما استولى عليه الفقر لقوله « في طفولتي كان أهل القرية ينادونني ب"ولد بشير المزلوط" أصبح والدي فقيرا بعدما استولى "الرومي جانو" على أراضي جدي الحاج لخضر »³

فعبّر عن إحساسه المرير بزمنه القديم الذي طغى عليه الاستبداد والعنف فجاء زمنه الماضي رامزا للمعمر، والثورة على المحتل، وما ينطوي تحت دفينته من جوع وتشريد وضياح حيث قال « تذكرت أيامي في الجبل الأخضر في أدغال جبال الونشريس الغربي المطاردة الدائمة والجوع، والألم والعري، والموت يترصدنا في كل مكان »⁴

فاغترب وانعزل كما أراد أن ينفصل عن هذه الدنيا التي لم تجلب له سوى الألم فقال « في طفولتي فكرت في الانتحار حين سمعت بمقتل والدي صعدت جسر السكة الحديدية المشرف على القرية عاقدا العزم على وضع حد لحياتي المضطربة »² فمزج معمر بين طفولته الأليمة و يأسه من الحياة، وبين حنينه لوالديه و قسوة الزمن عليه

¹ الرواية ، ص35.

² الرواية ،ص6.

³ الرواية ، ص18.

⁴ الرواية، ص34.

وبهذا يتضح لنا أن الزمن الاسترجاعي جاء حاملاً للمدلولات الاغترابية في شخصية معمر والمتمثل في الحنين واليأس، والألم والعذاب أضف إلى ذلك الاضطراب بالعودة إلى الذكريات الأليمة.

-الاستباق:

هو النظر إلى المستقبل في الزمن الحاضر أي أنه « استباق زمني الغرض منه التطلع إلى ما هو متوقع أو محتمل الحدوث في العالم المحكي »¹

وهنا تكون الفرصة أكبر للتعبير عن الخيال، ومصافحة الغامض والمجهول واستباق الأحداث التي لم يحن دورها بعد وهذا يكشف لنا عن « تصوير مستقبلي لحدث سردي سيأتي مفصلاً فيما بعد »²

فوردت دلالات الاستباق عند بطل الرواية معمر إذ كان يتوعد وينتظر العقوبة من طرف لجنة الانضباط إزاء تأخره عن عمال الورشات لقوله « لقد تأخرت بليلة أخرى عن عمال الورشات .. عبد السلام الحسي عصبي لن يغفر لي هذا التهاون أتمنى ألا يكتب عن تأخري تقريراً فيضخم فيه أخطائي وقد يقدم ملفي إلى لجنة الانضباط »³

كما كان يتنبأ معمر بما سيقول له هوارى النادل في المقهى عن عمله أو حلمه بالذهاب إلى الصحراء حيث قال « تابعت باهتمام حركات النادل هوارى لم يرني سيحدثني كعادته عن رغبته في العمل بالصحراء هل مازال مصرًا على العيش بعيداً عن المدينة ؟ هناك بين الكتبان الرملية سيجد عالماً لم يخطر بباله »⁴

وأشار معمر إلى ساجية الذي تخيل نفسه يجري ورائها حتى نعتته بالمجنون لقوله « كانت ساجية تجري في بستان جميل وأن خلفها كالمجنون ثم دخلت ساجية المدينة

¹ حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي ، ص133.

² مها حسن القصراني، الزمن في الرواية العربية، ص211.

³ الرواية، ص44.

⁴ الرواية، ص91.

وأمام العمارة الصفراء التي أسكنها وقفت وصاحت بأكية " النجدة... النجدة أنقذوني من هذا المجنون «¹

ومن خلال هذه الأحداث يتبين لنا أن الاستباقات التي استحضرها الكاتب في الرواية جاءت مكملة للبعد الفني في الرواية.

ومما سبق ذكره يمكننا القول أن الكاتب " محمد مفلح" استطاع بتقنياته أن يزيد من روعة الحدث ويفصل أكثر في أزمة البطل الاغترابية، خصوصا بعد نقله لنا من الزمن الحاضر إلى الماضي باسترجاع الأحداث المؤلمة عند الشخصية والسفر بنا إلى المستقبل.

فجاء عنصر الزمن فاعلا ومؤثرا يحمل في طياته الإشارات والإيحاءات الاغترابية المكثفة كما أن لجوء "مفلح" إلى التلاعب ببنية الزمن كان هدفه التأثير في القارئ وتشجيعه على معرفة أحداث الرواية كل هذا جاء في متعة جمالية ضبطت الرواية وسرعت من أحداثها.

¹ الرواية، ص 41.

خاتمة

نستخلص مما سبق مجموعة من النتائج نذكرها كالآتي:

- حمل مصطلح الاغتراب سواء في جذوره اللغوية أم المعجمية أم في استخداماته المتعددة فلسفيا واجتماعيا ونفسيا وأدبيا معنى الشعور بالانفصال والغربة عن الذات والمجتمع والواقع ليعبر الفرد عن صرخته في مواجهة العوامل السياسية والاقتصادية، والاجتماعية التي عصفت بكيان الإنسانية جمعاء.
 - أصبح مفهوم الانفصال من أكثر دلالات الاغتراب تداولاً في العصر الحديث بعدما كان في القديم يرمز للبعد والنوى والتغريب عبر إحساس الإنسان أنه ليس في بيئته أو موطنه ليشعر بالغربة وباختلاف ذاته عن الآخرين وافتقاده للعلاقة الحميمة معهم ومن هنا يفقد المعنى الحقيقي للحياة.
 - الاغتراب ملمح إنساني يمكن أن يظهر عند أي إنسان كما يمكن أن يكون في أي مكان وزمان تبعاً لتغير الظروف والأحوال وتطور الثقافة والحضارة ليدل دائماً على الانفصال والاستلاب.
 - عبرت لنا الرواية عن جل التظاهرات الاغترابية التي تعاني منها الشخصية الجزائرية وعكست لنا الأجواء الاغترابية خاصة داخل الوطن جراء الظروف والأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية.
 - الاغتراب النفسي من أبرز أنواع الاغتراب الموجودة في الرواية تجسد ذلك من خلال ما يعانيه البطل من صراع داخلي وشعور بالضيق والرغبة في الانتحار والموت وكذا اليأس من هذا الواقع المرير.
- جاءت الأنواع الاغترابية في الرواية متداخلة ومتراصة مع بعضها البعض فالاغتراب النفسي تولد عن القيم الاجتماعية والاعتراب الاجتماعي أصبح مظهراً من مظاهر الاغتراب السياسي الذي انعكس على الفرد.

- استعان الروائي " محمد مفلح " بطرائق السرد من خلال استخدام تقنيات المونولوج والاسترجاع والاستباق الدالة على الخصائص الاغترابية التي ظهرت على الشخصيات فعكست ردود أفعالها وصورت مكنوناتها النفسية باستحضاره للألفاظ النابضة بمعاني الاغتراب ما كشف عن خبايا الشخصية اتجاه الواقع الذي تعيشه.
- استطاع الكاتب أن يجسد الاغتراب تجسيدا فنيا متميزا كشف من خلاله عن الواقع الحي وعكس صورته بلغة وأساليب فنية مثلت الأجواء الاغترابية تمثيلا صادقا مما أضفى على الرواية كثيرا من السمات التي تزيد جماليتها وتماسكها فنيا .

ملحق

التعريف بالروائي محمد مفلح:

1/ حياته:

إن محمد مفلح هو « روائي وقاص وباحث في التاريخ من مواليد 28 ديسمبر 1953 أنجز العديد من الأعمال الإبداعية، والأبحاث المتعلقة بتاريخ وتراث منطقة غليزان وهو اليوم بعد تقاعده متفرغ للكتابة الإبداعية والبحث في تاريخ منطقة غليزان وتراثها الثقافي »¹

إذ نشر « مقالاته الأولى بالملحق الثقافي لجريدة الشعب الذي كان يشرف عليه الروائي الطاهر وطار (1973-1976)، كما نشر قصصه الأولى في بداية السبعينات من القرن الماضي بالجرائد والمجلات الوطنية ومنها الوحدة، آمال، النادي الأدبي لجريدة الجمهورية، وطبعها سنة (1983) تحت عنوان "السائق".

وشرع في التدريس منذ سنة (1971) بمدرسة سعيد زموشي "غليزان" ثم بمتوسطة 19 جوان بغليزان كما مارس العمل النقابي منذ (1972) إذ انتخب أمينا عاما للإتحاد الولائي بغليزان وعضوا بالمجلس الوطني (1984-1990) ثم انتخب عضوا بالأمانة الوطنية للإتحاد العام للعمال الجزائريين (1994.19) وبرلماني سابق خلال عهديتين (عهدة 1997.2002) و(عهدة 2002-2007) وتولى عدة مسؤوليات بالمجلس الشعبي الوطني منها: نائب رئيس المجموعة البرلمانية لحزب جبهة التحرير الوطني، نائب رئيس لجنة الثقافة والسياحة والاتصال .

كما انتخب عضوا بالأمانة الوطنية لإتحاد الكتاب الجزائريين (2001-1998) وأعيد انتخابه عضوا بالمجلس الوطني للإتحاد عام 2001 «².

¹ محمد مفلح، انكسار، دار طليطلة للنشر والتوزيع، دط، 2010، ص120.

² Meftah Mohammed.blospot.com الإثنين 13/04/2015 ، 10:34.

2- مؤلفاته :

عرف محمد مفلح بثقافته الواسعة وكثرة إطلاعه واهتمامه بالأدب هذا ما جعل إبداعاته متنوعة فقد بلغت 24 كتابا من أهمها: « رواية الانفجار وهي أول رواية نشرت له نال عنها الجائزة الثانية في مسابقة نظمتها وزارة الثقافة سنة (1982) لحقتها عشر روايات هي:

-هموم الزمن الفلاقي التي نال عنها الجائزة الأولى بمناسبة الذكرى الخميس للثورة(1984)

-زمن العشق والأخطار، بيت الحمراء، الانهيار، خيرة والجمال، الكافية والوشام، الوسوس الغريبة، عائلة من فخار، انكسار، شعلة المائدة وهي رواية تاريخية عن مدينة وهران في العهد العثماني

كان هذا في الرواية أما القصة نجده نشر ثلاث مجاميع قصصية هي : السائق وأسرار المدينة، الكراسي الشرسة، كما نشر ثلاث قصص للأطفال وأصدر سبعة كتب في التاريخ والتراجم منها : شهادة نقابي، أعلام منطقة غليزان والعديد من المقالات بالصفحة الثقافية لجريدة الجمهورية .

3/ رأي عز الدين جيلاجي فيه:

أول ما يميز هذا القلم هو إخلاصه للإبداع وإصراره على مواصلة الدرب بثبات وظل محمد مفلح لا يزداد إلا عشقا للكتابة، ولا يزداد إلا ارتباطا بالإبداع رغم وظائفه السياسية والنقابية والاجتماعية، وثاني ما يميزه هذا التنوع الجميل الذي طبع تجربته الإبداعية فهو وإن انتصر للرواية كثيرا إلا أنه بدأ قصاصا وكتب المسرح والتمثيلية الإبداعية ثم هاهو يفاجئنا بجملة من الإصدارات اهتمت مرة بالتاريخ، ومرة أخرى بالتراث وهذا وفاء من الكاتب وإحساس منه بالمسؤولية¹.

¹ Ouadie.Ahlamontada.Com/L9783.Lopic الإثنيين 2015/04/13 ، 34 : 10

ملخص رواية هوامش الرحلة الأخيرة" محمد مفلح"

تدور أحداث هذه الرواية حول البطل الرئيسي معمر في العقد الثالث من العمر متزوج وله ابنة وولدين يعاني هذا البطل من غربة قاتلة فرضتها عليه ظروف العمل في الجنوب الجزائري كسائق شاحنة متنقلا بين مدن الصحراء ،والمدن الغربية ليزود الورشات الموجودة هناك في حاسي مسعود بالمؤون من أطعمة ومشروبات غازية ومعدنية . فكانت هذه هي الرحلة الأخيرة لذلك جاء العنوان معنونا بهوامش الرحلة الأخيرة إذ يذكر ويسرد لنا معمر تفاصيلها، والعقبات التي تعرض لها أثناء عمله فكانت هوامش ثقيلة وملينة بالأحزان .

إذ بدأت معاناته من بداية الرواية حين يأس من حياته التي أصبحت بسيطة لا معنى لها تتساقب الأيام الكالحة أمامه وهو يتفرج على تفاهاتها مضت فترة شبابه وضاعت أحلامه حاول أن يتعلم الصبر داخل غرفة شاحنته ،ولكن الظروف أقوى منه إذ كان يسترجع ذكرياته الماضية التي أثرت فيه كثيرا حيث مات والده في حقل المعمر " الرومي جانو" ولم يعرف سبب وفاته هذا سبب له ألم كبير حتى فكر في الانتحار ولكنه تراجع عن فكرته لخوفه من الموت كما توفيت والدته، ولم يحضر جنازتها كان موجودا في المهجر قضى معمر 10 سنوات سائقا بمديرية الأشغال البترولية وهي مدة كافية لتدميره بل وزيادة غربته ففي مرة من المرات ركن شاحنته قرب المقهى ونزل لشرب القهوة وتدخين سيجارة ولما عاد وجد فتاة تدعى ساجية اقتحمت شاحنته، وركبت معه دون إذنه هذه الفتاة أيقظت مشاعره وعواطفه المكبوتة فانفعل لرؤيتها خاصة وأنها شابة في مقتبل العمر وجميلة أراد أن يظفر بها ولكنه رجع لصوابه ولام نفسه على هذا التصرف وقرر أن ينزلها من شاحنته فتح الباب ودفعها بقوة وواصل سياقته، ولكنه لم يرتاح لما فعله إذ أحس بالذنب اتجاهها وأشفق عليها ترجل للبحث عنها لكن دون فائدة ترجى.

كان معمر في كل يوم يزداد شوقه لعائلته الصغيرة ومدينته غليزان فكلما كان قريب بشاحنته من مدينته يرغب في زيارة أهله ولكنه يخاف أن يقضي مدة أطول بينهم ويتأخر

عن الورشات خصوصا وأن عبد السلام الحسي رئيس القطاع عصبي المزاج وسيعاقبه إن تأخر عن الموعد المحدد فاجتاحت معمر موجه الاشتياق والحنين لزوجته يمينة وابنته زهور وولديه رشيد ومحفوظ ،هذا تسبب له في أزمة نفسية كادت تؤدي بحياته قرر بعدها الرحيل وتقديم استقالته مهما كانت الظروف فكانت لحظات الفراق مع أصحابه حزينة وصعبة للغاية لأنه شخص طيب مع شريف الميكانيكي ورزقي السائق وعواد الحارس فحمل حقيبته واتجه نحو السيارة وحين وصوله إلى مدينته اتجه صوب الشوارع الفارغة حتى لا يلتقي بمعارفه ويتجنب أسئلتهم عن حياته الخاصة .

وقف أمام باب شفته وهو في غاية الانفعال كيف سأواجه أفراد عائلتي متسائلا عن أيامه القادمة هل ستكون سعيدة أم لا ليعوض نفسه عما فاتته دخل بيته وسلم على أهله ثم تمدد على سريره ،وهو يتأمل ويتذكر صديقه ناصر النقابي الذي قال له بأن التقاعد في بلادنا جحيم للفراغ الذي ستجده أمامك.

فالبطل غادر مدينته ليلاحي حاجياته، ومطالبه الأسرية للتخلص من الفقر والحرمان فوقع في أزمة اغترابية تفوق الفقر المادي .

وانتهت الرواية بشرب معمر للقهوة وتدخين سيجارة وهو يقاوم مشاعر الغربة القاتلة التي استولت على نفسه الحائرة .

قائمة المصادر والمراجع

*القرآن الكريم بـ "رواية ورش".

1. أحمد علي إبراهيم الفلاح، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري (دراسة اجتماعية نفسية)، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2013م.
2. الأعشى، الديوان، تح محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط4، 1983م.
3. الإمام أبي الحسين مسلم، صحيح مسلم، تح أحمد زهوة وأحمد عناية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2004 م.
4. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي الفضاء -الزمن- الشخصية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2009م.
5. حسن حماد، الإنسان المغترب عند إيريك فروم، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، مصر، دط، 2005م.
6. عبد الحق منصف، أبعاد التجربة الصوفية الحب-الإنصات-الحكاية، مطابع إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2007م.
7. حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2000 م.
8. دراج فيصل، نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، دط، 1999م.
9. ذياب قديد، المتنبي بين الاغتراب والثورة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط3، 2011م.
10. رابطة أهل القلم، أسئلة الحداثة في الرواية الجزائرية، منشورات مديرية الثقافة، سطيف، الجزائر، د ط، د ت.

11. ركيبي عبد الله، تطور النثر الجزائري الحديث ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، القبة، الجزائر، د ط، 1974م.
12. ريتشارد شاخ، الاغتراب، تر، كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1980م.
13. سعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث (مقوماتها وطاقاتها الإبداعية)، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 1986م.
14. سعيد سلام، التناسل التراثي، الرواية الجزائرية أنموذجا، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، د ط، 2010م.
15. سليمان حسين، مضمرة النص والخطاب، في عالم جبرا إبراهيم جبرا الروائي، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، د ط، 2010 م.
16. الشريف حبيلة، الرواية والعنف دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010م.
17. صالح زامل، تحول المثال (دراسة لظاهرة الاغتراب في شعر المتنبي)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.
18. صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية دراسة، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، ط1، 2003 م.
19. صالح ولعة، المكان ودلالاته في رواية " مدن الملح" لعبد الرحمن منيف، عالم الكتب الحديث ، إربد الأردن، ط1 ، 2010م.
20. عايدة أديب بامية ، تطور الأدب القصصي الجزائري، تر محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط ، 1967م
21. علي العلوي، الذات المغتربة والبحث عن الخلاص، الشعر المغربي المعاصر أنموذجا، دار الوطن للطباعة والنشر المغرب، ط2013، 1 م.

22. عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2009م .
23. عمر بوقرورة، الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث، مركز منشورات جامعة باتنة، الجزائر، د ط ، 1962 م.
24. فهد حسين أمام القنديل، حوارات في الكتابة الروائية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2008م.
25. فيصل عباس، الاغتراب "الإنسان المعاصر وشقاء الوعي"، دار المنهل اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 2008م.
26. عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية، مصر، ط1 ، 2003 م.
27. أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007م.
28. ابن قيم الجوزية، مدراج السالكين (بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين)، تح محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.
29. كاميليا عبد الفتاح، الشعر العربي القديم، دراسة نقدية تحليلية لظاهرة الاغتراب، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، مصر، د ط ، 2008م.
30. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، الكويت، د ط ، 1998م.
31. مجاهد عبد المنعم مجاهد، جدل الجمال والاغتراب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، 1997م.
32. محمد بوعزة، تحليل النص السردي وتقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون، الرباط، المغرب، ط2010، 1م.
33. محمد خليفة دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر ، دط، 2003م.

34. محمد خضر سعاد، الأدب الجزائري المعاصر، منشورات المكتبة العصرية صيدا، بيروت، دط، 1967م.
35. محمد زكي العشماوي، دراسات في النقد الأدبي المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دط.
36. محمد مصايف، النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1983م.
37. مصطفى الشادلي، ظاهرة الاغتراب في النقد العربي، مطبعة آنفو - برانت، فاس، المغرب، ط1، 2009م.
38. مصطفى فاسي، دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصة للنشر، الجزائر، دط، 2000م.
39. محمد مفلح، إنكسار، دار طليطلة، دط، 2010 م.
40. محمد مفلح، هوامش الرحلة الأخيرة، منشورات دار الكتاب، دط، 2010 م.
41. مها حسن القصراري، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، عمان، ط1، 2004 م.
42. نوزاد حمد عمر، الغربة في شعر كاظم السماوي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، دط، 2012م.
43. الهادي محمد بوطارن، الاغتراب في الشعر العربي الرومنسي، دار الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د ط، 2010م.
44. ياسين النصير، الرواية والمكان، دراسة المكان الروائي، دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ط2، 2010م.
45. يحي الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د ط، 2007م.

46. يحيى العبد الله، الاغتراب، دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2005 م.

47. يمنى العيد، فن الرواية العربية بين خصوصية الحكاية وتميز الخطاب، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.

-المعاجم:

1. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، اسطنبول، تركيا، ط2، 1960م.

2. بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، ، بيروت، لبنان، دط ، 1987م.

3. جبران مسعود، الرائد معجم ألف بائي في اللغة والأعلام، دار العلم للملايين، مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.

4. مجد الدين الفيروز أبادي، المعجم المحيط ، محمد عبد الرحمان المركشلي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت، ط1، ج1، 1997 م.

5. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1994، مج1

-الرسائل الجامعية:

1. بنية سليمة، الرواية الجزائرية الجديدة أحلام مستغانمي-أنموذجاً-، رسالة ماجستير كلية الآداب واللغات ا لأجنبية، قسم اللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر، 2007م.

2. سماح بن خروف، الاغتراب في رواية كراف الخطايا - لعبد الله عيسى لحيلح - رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات ا لأجنبية، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2012 م.

3. سنوساوي عمارية، الاغتراب في الشعر الصوفي الجزائري، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات ا لأجنبية، قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان الجزائر، 2013 م.

4. محمد مشعالة، الاغتراب عند الإمام علي من خلال نهج البلاغة، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2010م.

-مجلات ودوريات:

1. مجلة جامعة دمشق ،ع1+ع2،مج 27 ، 2011.
2. مجلة جامعة دمشق، سوريا،ع3،مج 26، 2010.
3. مجلة عالم الفكر، الكويت،ع1،مج10،1979.
4. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعة وادي سوف، الجزائر،ع8،جوان،2012.
5. مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية،ع7، 1990.

-المواقع الإلكترونية:

1. Ouadie.Ahlamontada.Com/L9783.Lopic
2. Meftah Mohammed.blospot.com

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ. ب. ج
مدخل : نبذة عن تطور الرواية الجزائرية	14-6
الفصل الأول الاغتراب: مفاهيم وإضاءات	44-16
1 + الاغتراب لغة واصطلاحا	16
1 + الاغتراب لغة	20
1 2 الاغتراب اصطلاحا	23
2- الاغتراب في الفكرين العربي و الغربي	24
1-2 في الفكر العربي	24
2-2 في الفكر الغربي	28
3- أبعاد الاغتراب ومظاهره	35
4-أنواع الاغتراب	39
الفصل الثاني: تجليات الاغتراب في رواية هوامش الرحلة الأخيرة "محمد مفلح"	75-46
1 - دلالات الاغتراب في الرواية	46
1-1 النفسي	47
1-2 الاجتماعي	53
1-3 السياسي	61
2 علاقة الاغتراب بالمكان والزمان	63
1-2 المكان " الشاحنة، البيت، القرية، المدينة، المقهى "	63
2-2 الزمان "الاسترجاع، الاستباق"	71
خاتمة	77
ملحق	80
قائمة المصادر والمراجع	85
فهرس الموضوعات	92

ملخص:

تعد ظاهرة الاغتراب من الظواهر الإنسانية الهامة التي حظيت بمكانة واسعة في الدراسات الأدبية العربية والغربية على حد سواء ،إذ أنها الحالة التي يشعر فيها الفرد بالبعد والانفصال والاستلاب سواء عن الذات أم عن الآخرين. ويرجع ذلك لأسباب عديدة تدور حول حياة الفرد من سياسية واجتماعية ونفسية.

ويهدف هذا البحث إلى دراسة مشكلة الاغتراب وأهم تجلياته المنعكسة في رواية هوامش الرحلة الأخيرة " لمحمد مفلح" التي تعبر عن الغربة التي يعانيها البطل بالعمل في الجنوب الجزائري.

Résumé :

L'émigration est un phénomène qui touche l'homme. Elle prit partie dans les études littéraires en arabe et en français. L'individu sent un éloignement ou isolement de son âme ou de ses concitoyens cela est dû à des causes politique, sociale et psychologique.

Cette étude vise à étudier les problèmes de l'émigration et ses conséquences dans le roman 'les marges du dernier voyage' de Mohamed Mefleh qui met en exergue l'émigration et l'insolence vécu par le héros dans le sud algérien.